

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم اللغة والأدب العربي



مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

شعبة: الدراسات الأدبية

المدينة في أدب الرحلة رحلات الحج الى البقاع المقدسة أنموذجا

إشراف الأستاذ:

د. يوسف يوسف

من إعداد الطالبتين:

- خماس أحلام

- براهيم نعيمة

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة	أعضاء اللجنة
رئيسا	جامعة تيارت	أستاذ تعليم عالي	ذبيح مُجّد
مشرفا مقرا	جامعة تيارت	أستاذ تعليم عالي	يوسف يوسف
مناقشا	جامعة تيارت	أستاذ تعليم عالي	مكيكة مُجّد جواد

السنة الجامعية

1444/1443 هـ

2023-2022 م



شكر و عرفان

قبل كل شيء نحمد الله و نستعينه و نشكره على جليل فضله
و نعمته علينا و هو الذي وفقنا لاتمام هذا العمل .

الى أستاذي المشرف يوسف يوسفي لك مني جليل الشكر
و الامتنان و التقدير و العرفان على كل ناصحك و
توصياتك القيمة ، و جهودك المبذولة في سبيل خدمة العلم
و طلابه.

كما يسرني أن أتقدم بالشكر و التقدير عرفانا لكل من
ساهم في اضاءة دربي بشموع العلم المضيئة خصوصا الأستاذ
يوسف يوسفي و الى جميع صديقاتي و رفيقات دربي و
التوجيهات المقدمة لي.

كما نشكر كل من ساعدنا م تقريبا أو بعيد و لو بكلمة أو
دعوة طالحة و شكرا

إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى و أهله و من
وفى أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الفكرة في مسيرتنا الدراسية
بمذكراتنا هذه الثمرة الجهد و النجاح بفضلته تعالى مهداة الى
الوالدين الكريمين حفظهما الله و أدامهما نورا لدرربي .

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني و لا تزال من اخوة و أخوات و
الى رفيقات المشوار الآتي قاسمتني لحظاته رعاهم الله ووفقهم .
دادوية - حليلة - سعاد - رفيدة - زعيمة.

الى كل قسم الآداب و اللغات و الادارة و جميع دفعة 2023.
الى كل من كان لهم أثر على حياتي ، و الى كل من أحبهم قلبي
و نسيهم قلبي

أعلام

اهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على صاحب الشفاعة سيدنا النبي الكريم ، و على آله و
صبيه أجمعين أما بعد :

لمن كان سببا وجودي أمي و أبي حفظهما الرحمن الى اخواتي
الحبيبات

رشيدة - أسماء - بشرى - فاطمة

و الى قرة أعين و اخوتي : ممد - جمال - نصر الدين .

كما لا أنسى أختي و زميلتي : أحلام

و لكل من أعطانني يد العون من قريب و بعيد و ساعدني في انجاز
هذه المذكرة .

و أخص أستاذي المشرف يوسف يوسف .

زعيمة

قائمة المختصرات

ج : جزء

د: دكتور

د.ج : دون جزء

ذ.ط : دون طبعة

ص : صفحة

ط: طبعة

هفتاد و نه

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا و حبيبنا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، أما بعد :

ان الحديث عن أدب الرحلات في المدينة، حديث ممتد و متشعب، و فيه ما يؤثر في المتلقي، و يجعله في حالة اصغاء تامة، و من أدب الرحلات النثر الذي يحتوي أجناسا كثيرة كان لها التأثير البارز في الساحات الأدبية.

و قد عرفت الآداب العالمية عدة أجناس و أنواع ، و تأثرت بأخرى ، و منها المدينة في أدب الرحلة الذي شق طريقه نحو العالمية لابرز آداب جديدة و تطور أخرى ، أو عن طريق تداخلها ببعض ، و من الآداب التي حاولت أن تصنع لها اسما ، و أن تكون في الواجهة هي المدينة في أدب الرحلات في المدينة التي كان لها ارهاصات في الأدب العربي القديم ، و عند الغرب ، الا أنها في الأونة الأخيرة ظهرت بشكل جلي ، وواضح كأدب مستقل بذاته و مختلف عن غيره .

ويتعلق أدب الرحلات بالرحال الذي يحاول جاهدا أن يجعل من حياته الشخصية الخاصة رحلة جالى بها خياله و حواسه ليكون مبدعا ليتوصل الى هدفه لا غاية عدم تحديد الغاية. و من خلال طرحنا لهذا الموضوع نسعى للإجابة عن أهم الاشكاليات التي قام على أساسها البحث، و هي:

- ما مفهوم أدب الرحلة، ماهي تأثيراته، فيما يتمثل دور الرحالة؟

- ما هي العلاقة التي كانت بين المدينة وأدب الرحالة؟

و من الأسباب التي دفعتنا و قادتنا لدراسة هذا الموضوع:

- أسباب ذاتية: هي اعجابنا به و فضول المعرفة عن كل ما يخصه و يلم بهذا الموضوع.

- أسباب موضوعية : ارتأينا أن هذا الأدب يحتاج الى دراسة و تحقيق و مجال دراسة أدب الرحلات مفتوح لكل دارس و باحث.

و للإجابة عن الاشكاليات المطروحة مسبقا رسمنا خطة بحث قائمة على مقدمة ، و مدخل ، و فصلين تليهما خاتمة اشتملت على أهم النتائج المتوصل لها ، جاء الفصل الأول بعنوان: أدب الرحلة و موضوعة المدينة ، أما الفصل الثاني بعنوان: المدينة في الرحلة الحجازية.

كما استعنا في سبيل ذلك على المنهج الوصفي التحليلي مستعينا بالتاريخي لرصد كل تطور طرأ على هذا البحث. و قد تم اختيار بعض المصادر و المراجع التي وجدنا فيها ضالتنا التي شكلت في مجموعها مكتبة هذا البحث، و نذكر منها :

- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي.
- د.مختار علي أبو عالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر.
- بوقريط الطيب: فن الرحلة.
- د.خالد التوزاني: أدب الرحلة جدلية الأنا و الآخر في عالم متغير.
- ابن جبير: رحلة ابن جبير.

لقد اعترض طريقنا مجموعة من الصعوبات و العراقيل منها:

ندرة المصادر و المراجع الموجودة في مكتبة الجامعة، بالإضافة الى عراقيل صحية مست زميلتي في العمل و مشاكل عائلية قد واجهتنا أثناء اعداد هذه المذكرة.

و لا سعنا في الأخير الا أن نقدم ثنائنا و شكرنا لله عز و جل الذي أمدنا بالعون ليرى هذا البحث المتواضع ، كما نوجه شكرنا و امتناننا للأستاذ المشرف يوسف الذي تبني بحثنا برحابة صدر و شكر موصول ، كذلك الى أعضاء لجنة المناقشة ، التي تكفلت بقراءة هذا العمل و العمل و تصويبه.

مدخل

أهمية أدب الرحلة وعلاقة المدينة

مدخل: أهمية آداب الرحلة وعلاقته بالمدينة

من الطبيعي الانسان انه محب للحركة والتنقل والتغيير من روتينه، والابداع والاكتشاف كل علم ذو منفعة ويطمح لمعرفة المزيد من الاسرار لتطوير من نفسه وانتفاع اخر.

ومن هذا التلميح سنشرع في أهمية أدب الرحلة حيث جعل المفكرين والادباء أدبا خاصا متميزا عن غيره من الآداب ومن هنا يمكن تقديم تعريف ملخص لأدب الرحلة بحيث يعرف على أنه فنا أدبيا يصف من خلاله الرحالة الأماكن التي زاروها من خلال تأثر بهم وبتقافتهم والتأثير عليهم.

للرحلات أهمية في اكتساب الخبرات واقتباس المعارف في شتى المجالات.

بحيث تعتبر مصدر للمؤرخ والجغرافي عالم الاجتماع وفيها قدوة للمقتدي بحيث يستفيد منها كل باحث.

ويترك أثرا حسنا بمن شاهده أو رآه، ولقد نشطت الرحلات الأوائل اخبار رحلاتهم في مؤلفاتهم القائمة الا نادرا فقد وردت هذه الرحلات في كتب التاريخ أو تقويم البلدان.

" ويحرص الكثير من الناس على الاهتمام بالرحلات حيث أن الرحالة دائما ينقل للقارئ صورا وقصص وطرائف ومشاهدات لكل ما شاهد وسمع ورأى وما أكثر ما حفل به التراث العربي الاسلامي من اخبار الرحلات والرحالة وما دونه عن مشاهداتهم ووصفهم من نماذج مشرقة من أدب الرحلات مما جعل السفر تراثا يتصل بالتاريخ الاسلامي والجغرافيا الوصفية وما أعظم كتب الرحالة ابن بطوطة في كتابه تحفة الانظار ما في غرائب الامصار وعجائب اسفار".¹

أدب الرحلة في التراث العربي و في نظر العالم هو ذلك الابن النجيب الذي أنفقت التراث ومهدت لتربيته حتى يأخذ الموقع والمكان وحيزا يليق به التي تليق به فهي تفسير أخبار

¹ عبد الله بن حمد الحقييل ، صور من أدب الرحلات الى الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية ط 1 ، مكتبة التوبة المملكة العربية السعودية 2007 ، ص 16

العرب والعجم وتجمع التلاميذ والطريق مما يقع عليه بصرها من مشاهدات، وهي تسجل تراث الأمم والحضارات.

في الرحلة هدف يتمناه العقل وتسعى اليه الروح ولكن: " ليس من رأى واخذت الأسفار من عمره كمن سمع أو قرأ"

قد عمل الرحالة على اكتشاف البلدان الجديدة بمدنها وقرائها وما يقتضي من معرفة المسالك المؤدية الى ذلك.

فكانت تلك الرحلات هي أساس علم الجغرافيا فكانت السبب وطريقا في عملية التوسع الاسلامي كي يعرف طريقه فيسر وقد اداش هذا التقدم في الفتوحات الاسلامية الكثير من المستشرقين فخلال قرن واحد تتشكل أكبر امبراطورية عرفها التاريخ. فقد أدى الرحالة دور السفراء والممثلين لبلدانهم ومجتمعاتهم في البلدان التي زاروها أو تزوروها.

وكل ذلك كان له أثر في توجيه فكر الأمم وإيقاظ شعورها في الطيش أو التلميح.

" فقد أفاد هذا الفن في صرف أصحابه في أغلب الاحيان عن اللهو والعيش اللفظي الى التعبير عن السهل المؤدي الى الغرض. أدب الرحلات لدى العديد من الدارسين من أهم فنون الأدب العربي. وهو أنجح أدب، فنحن نعيش الموقف معهم ونتبع معهم دون شعور منا فعالية الوصف المشهدي التي يقوم بها الراوي وهو يسخر حواسه كافة لتعمل بأقصى طاقتها في الملاحظة والتصوير تعكس نتائج ذلك في مدونات أدبيه فهي سجل الحضاري وثقافي"¹.

لقد كان لأدب الرحلة أهمية وفوائد، وفيها من ناحيتين العلمية والادبية، أضفت في طياتها العديد من المستويات والمجالات سواء عن مستوى الثقافي بحيث يتمثل ذلك في تحديد العديد من المعلومات الثرية التي تستحق الدراسة.

¹ عبد الله بن حمد الحقييل ، صور من أدب الرحلات الى الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية ط 1 ، مكتبة التوبة المملكة العربية السعودية 2007 ، ص 08

بل توسعت الى المجال الثقافي العلمي والادبي، كما يمكن ذكر المجال الاقتصادي.

"شكلت الرحلة بذلك بوابة للتعبير الايجابي، ان أهمية أدب الرحلة تبدت من خلال جانبين قد تتوسع في ذلك"¹.

بحيث أتاحت بدديناميكيته استغلال روافد عديدة من الفكر والمعرفة، بحيث دفعت الباحثين والدارسين للغوص في أعماق هذا المجال لأنه لا يبدو على ظاهره بل كانت المتعلمة في الجوف والباطن.

" وقد شكل هذا العلم مزيج من عناصر الفكر والأدب والابداع، وعكس تفاعلا بين رؤية العين وابصار المخيلة أو القلب."²

مهما تحدثنا عن هذا الأدب يبقى غنيا عن التعريف لأن له مجال واسع، لقد ذكر هذا الأدب حتى في القرآن الكريم لقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات 13³، بحيث ان الرحلة كانت سر وحده البشر. بحيث أن ثمار الرحلة لا تتوقف عن التعارف أو صقل الشخصية أو كشف المجهول من طبائع الشعوب لكنها تعود بالمكاسب العلمية والأدبية التي قد يتعذر حصرها.

لأن ما قام به أدب الرحلة كان خدمة كبرى قدمها للعلم والعالم العربي وحتى العالم الغربي.

أ-القيمة الأدبية:

تعريف الرحلات في موادها من الأساليب ترفع بها الى عالم الأدب وترقى بها الى مستوى الخيال الفني برغم ان أدب الرحلة يتسم من تنوع في الأساليب من السرد القصصي الى

¹ أستاذ بوقرة الطيب، كتاب فن الرحلة، ط1 الدار الغيداد، عمان، 2017، ص 181

² خالد التوجاني، ادب الرحلة جدليه الانا والآخر في عالم متغير، ط 1، دار الكنوز، عمان 2020 -1441 ص.

³سوره الحجرات الآية 13

وصف وإلى الحوار وغيره، ومن أبرز ميزاته أنه يعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى.

يقول شوقي ضيف عن أدب الرحلة " خير رد على على تهمتي التي طالها بها الأدب العربي تهمة قصوره في فن القصة"¹

وقد لجا بعض الرحالين في كتابه رحلته ورحلته إلى اللهو والتكلف في تزويق العبارة والعبث اللفظي للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه، ولا يعني هذا أن أسلوب أدب الرحلة قد تخلص من كل الصفات والعيوب الأسلوبية. فهو يعتمد على السجع أحيانا وعلى الجفاف والصرامة العلمية أحيانا.

ومع ذلك يوجه فيه طراوة والاحضرار واللين، وهذا الأدب يهتم اهتماما كبيرا بتنوعه وثرته مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء تكمن فيه المتعة والفائدة معا ولا يوجد مثل لها في أي أدب معاصر للعرب.

و أدب الرحالة التي يتميز بوضوح الحس القصصي في سد الأحداث واختيارها والقدرة على جذب انتباه القارئ وحسن ختام كل موقف بشكل ممتع ومثير كما فسر الدكتور حسين نعار " أن الرحلة الأدبية، إذ لم تكن رواية ولا قصة بالمعنى الدقيق فأنها هي أخت شقيقه لهما"²

إذا كان فن الرحلة إذا طابع علمي يحمل فائده كبيرة للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع فاننا لا يمكن أن نقصي أو نلغي وزنه أو دوره الأدبي، وهذا ما جعلنا نطلق عليه اسم الفن لأن هذا الاسم صفة من صفات الأدب فانه يجعل كذلك بكثير من الأساطير والخرافات وبعض المحسنات البلاغية وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حرا كبيرا من

¹شوقي ضيف، الحجاز في أدب الرحلة العربي، ص 18

² https : // religion. asianin dexeing . Com

الدقة علاوة على ما يستهيب به أحيانا¹. يمكن القول بأن الرحلة أضافت على المحسنات البلاغية بحيث كان للفظ ولتعبير وللوصف محلا لا يمكن بلوغه وكانت الدقة هي المعيار.

تحول الشعر في أدب الرحلات الى قطعة من العذوبة والجمال، ما دام يؤسس البناء الحضاري والتواصل العلمي والثقافي، بحيث دفع الانسان الى التعرف والتعارف والاعتراف، فهي دائما كنز يقدم في محتواه الجمالي وامتداد للتاريخ واستمرار للأدب لأنه أضفى كل ما هو ايجابي يخدم المستوى الأدبي، أضحت بدورها انجازا مباشرا أو خطابا أدبيا لهم امتداداته المتجذرة في أعماق تاريخ العرب.

" فتقافات الرحلة راسخة في ذاكرة الشعوب، والرحلة عالم ساحر من الرؤى والغوص في محيطات المجهول، وجبل اطلاع والاستكشاف في فضاء المعرفة."²

يمكن القول بأن أدب الرحلة هو عمل ابداعي أدبي لأنه سعى الى التغيير والاسهاد بالأدب.

" لذلك انطوى ادراج أدب الرحلات ضمن فنون الأدب العربي على نظرة جمالية لهذا النمط من الكتابات. دشنها استغلال الرحلات من عالم الجغرافيا، فأصبحت نصا أدبيا جميلا، ينتفع على جماليات التعبير عن الحاجة الى الاكتشاف والمعرفة عبر السفر، الذي يغدو مدرسة قائمه بذاتها، بل خير مدرسة"³.

بحيث أصبح فن الرحلة جمالا على الأدب زاد من رونقه وزاد من معرفته انعكس عليه ايجابا وأثر عليه تأثيرا ابداعيا لم يكن مألوفًا من قبل.

¹ بوقريط الطيب، فن الرحلة، ط1، دار الغيداء، عمان، 2017، صفحة 184

² خالد التوزاني، جدليه الانا والآخر في عالم متغير، ط1، دار الكنوز للمعرفة، عمان 2020 -1441، ص.

³ خالد التوزاني، ادب الرحلة جدليه الانا والآخر، ط1، دار الكنوز، عمان، 2020

" بحيث كان للانسان رابطا وثيقا بهذا الأدب، لأن تزداد رغبة هذا الانسان في السؤال وفي الانتقال والسفر"، وتتوع الأغراض التي تدفع لهذا السفر¹ لقوله تعالى: " ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾"² ، ثم أيضا لقوله تعالى: " ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ "³ الملك 15، وللتوضيح اكثر بأن أهمية أدب الرحلات الأدبية تتجلى من خلال القيمة المضافة التي قدمها للأدب العربي، فعلى الرغم من أن الرحالة لا يشترط ان يكون أدبيا لكي يدون رحلته لنا بأسلوب أدبي، الا أن الأساليب التي اتبعتها الرحالة في توثيق رحلاتهم وقصصهم، وألوان الحوار والقص والحكاية والتشويق التي تضمنتها، " جعلت من أدب الرحلات صنفا أدبيا مرموقا وحيزا من الأجناس البشرية له خصوصية وشعبية بين القراء"⁴.

" ولعل ذلك ما دفع بعض الدارسين الى ادخال أدب الرحلة ضمن فنون الأدب العربي عندما تصبح القراءة هذا اللون من الكتابة متعة ذهنية فائقة الدهشة والغرابة لذلك أدرج أدب الرحلة ضمن الروائع الأدبية لأنه استوعب طاقة القص عند كتاب العرب وكشف مواهبهم في السرد والوصف."⁵

القيمة العلمية:

هذه الرحلات تحتوي على الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يسجله الرحالة، تسجيل المعائن باتصاله المباشر بالناس وبالطبيعة وبالحياتة خلال رحلته، إذا كان علم الجغرافيا مثلا يدرس الظواهر وتغييرها وتوزيعها على سطح الأرض فان الرحالة يسجل لمشاهداته الجغرافية على سطح الأرض ولم يتناول خطوة واحدة

¹ عبد الله بن حمد الحقييل، صور من ادب الرحلات الى الحرمين، ط1 ، المملكة العربية السعودية، مكتبة التوبة، 2007 ص 17

² سورة الأنعام، الآية 15

³ سورة الملك، الآية 15

⁴ خالد التوزاني، ادب الرحلة جدليه الانا والآخر، ط1، دار الكنوز، عمان، 2010 ص 25

⁵ المرجع نفسه ص 27.

في منهجه فانه يعمل في خدمة هذا العلم من هذا الجانب على الأقل وعندما يتحدث عن الممالك والبلدان والأقاليم والمدن، يصف لنا عادات السكان وتقاليدها وغير ذلك.

" فانه يعد من هذه الناحية مرجعا أساسيا ومعينا واسعا وكبيرا للعالم الجغرافي الذي يبحث ويدرس تلك الموضوعات ¹."

كما قد تتمثل هذه القيمة في جل المعلومات المختلفة في اختصاصات متشعبة فمنها:

التاريخية، الجغرافية، الاجتماعية، الاقتصادية من وصف للمسالك والعمران ونمط المعيشة من عادات وتقاليده، ليصبح أدب الرحلة بمثابة مدونة يلجأ اليها الدارسين للاستخلاص من العديد من المعارف بكل اطمئنان وارتياحية، "ف نجد المعلومات تنتقل اليها بواقعية وكيفية حية، فان الرحلات أعطت كل ذلك بعده المناسب وتطرقنا الى تحليل جوانب لم تتطرق الى تحليلها الوثائق التاريخية فقامت الرحلات بوضع كل ذلك في دائرة الاشعاع التي توجه اليها لاستجلاء الواقع واخراج التاريخ عند حدوده الضيقة ²."

يمكن القول بأن الأهمية العلمية لأدب الرحلة تجلت لأن تصبح تغييرا ايجابيا في محتواه لأنه أضفى ما تم إنكاره. بحيث أصبح لهذا الأدب علما لا يمكن انكاره بل الافتخار به.

لقد توسعت أهمية أدب الرحلة في الجانب، العلمي لأنها ساعدت لاكتشاف عدة أسرار وخبايا لم تكن مطروقة ومعروفة من قبل.

¹ https : // religion. asianin dexeing . Com

² نوال عبد الرحمن الشوابكه، اداب الرحلة الاندلسيه والمغربيه، ط وزاره الثقافه ط1 ، عمان، 2008 ص 32

" لقد كانت أهمية أدب الرحلات العلمية، بحيث ظهرت نتيجة كون هذا اللون الأدبي مادة غنية بالعلوم الدينية والتاريخية والجغرافية، فضلا عن الأشعار والأنساب والقبائل والمعارف المختلفة، وان هذا هو نتيجة معاينة الرحالة الواقعية للأحداث في أثناء تنقلاتهم واتصالاتهم المباشرة مع الناس في المناطق المقصودة، والتي يوثقونها عن طريق الكتابة لذلك تقرأ في أدب الرحلات عن العادات والتقاليد الخاصة بالقبائل، كما تقرأ عن وصف الطبيعة الجغرافية والمناخ والنبات والعمران والممالك ، ونسمع عن أسماء الملوك العلماء والحاشية، وأسماء الأطمعة والمساجد الموجودة في المناطق التي قصدها الرحالة في كتبهم".¹

لا خلاف أن الرحلة ابحار في أعماق الحضارات وغوص في تفاصيل الحياة اليومية للأفراد والشعوب، أنها تجارب ومغامرات، ورؤى الآخر ووصف توفيق تكنولوجي وسيكولوجي أو بتعبير آخر أنها كتاب مفتوح يروي تاريخ العالم، ولذلك لأدب الرحلة سحره الخاص وجاذبيته التي لم تنقطع. فقد ظل السفر محطة اهتمام الانسان أينما كان وحيثما وجد.

" وعلى الرغم من تحول العالم الى قرية صغيرة بفعل تطوره وسائل الاتصال والتواصل الا أن الرحلة احتفظت في بريقها وبذاتها"².

لقد عمل أدب الرحلة للقيمة العلمية على أن يصبح مصدرا في عملية تدوين التاريخ للمؤرخين وكانت بدورها قيمة نادرة، فهي تصور لنا الأماكن والأزمنة لم نحصل عليها دون مغامرات أولئك الرحالة والمسافرين عبر مناطق الكون.

لقد عادت هذه الأهمية العلمية على المؤرخين بإيجاب لقد ساهمت بالمساعدة بشكل كبير من خلال معرفتهم للأسرار وبلدان الكون. كما كانت تلك الرحلات هي أساس علم الجغرافيا.

¹https : // www.annajah.net

² ادب خالد التوزاني، ادب الرحله، ط1، دار الكنوز والمعرفة، عمان، 2020 ص 15

بعضهم يتعرفون على الهويات والأوطان وأعراق القوم وملامسة عاداتهم وتقاليدهم وحطت محل اهتمام.

كان لهم تأمل في الطبيعة، كانت لهم انفعالات وتأثيرات وحضورا واقعيا بأبعاد فكرية وقيم معرفية علمية مرتبطة بسياقات تاريخية واجتماعية وثقافية، جعلتهم يستشعرون أبعاد هندسية تخفي وراءها أسرار وتتنوع في الثقافات، كما خلقت ذكريات تبقى راسخة في أذهانهم ومدونة في كتبهم يشعر عليها الأدب لأنه أعطى وأمد للأدب فائدة عظيمة.

كما يمكن القول بأن أدب الرحلة كانت له بصمة علمية خاصة أي تنفرد عن غيرها بمميزاتها على غيرها من الآداب.

حيث جعلت منه سلاحا للتجوال بلدان الغرب والعرب، وتضمنت رؤى مختلفة في محتواها بين طيات الكتب، وجهات نظر فكرية ابداعية تركيبية متجانسة ومتداخلة ذات طابع خاص لم يدرج من قبل وغير مألوف بكل جدية..

فهذه الرحلات وكثرتها وتعدد أسماء الرحالة، فهي منبع لا تنتضب أن تمدنا بمادة لا غنى عنها للتواصل الانساني، وقد مثلت هذه الرحلات اتجاهات مختلفة بما فيها من مادة وفيرة تقترب من الموضوعية لدى "ابن جوبير" ومن الخرافة كما تجسدها، رحله "ابي حامد الغرناطي" و "ابن بطوطة"

وهي تقترب الى الترجمة الذاتية التي تبرز بشكل كبير عند المؤرخ المشهور "ابن خلدون" فمضمون الرحلة هو الحياة نفسها بكل جوانبها ومعطياتها.

" فهي سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة، تصور أحوال الناس وأشكالهم وطبائعهم وسلوكهم وعقائدهم، وكل ما يمكن أن يرى، وأخيرا نستنتج أن أدب الرحلات قد أفاد الكثير من الفنون التعبيرية فله علاقة عضوية قوية بكثير من الأشكال الأدبية الأخرى مثل المذكرات واليوميات وفن السيرة الذاتية وفن الرواية"¹.

" فقد تكون الرحلة البسيطة لكنها دالة موجبة، فقد نقلت من أصابع مؤرخ، أو تهمش من عيني باحث اجتماعي، أو تتراجع أو تنتشر لدى رجال الاحصاء، لكنها رصدت من عمق انسانيين دافئ بقلم وأدب الرحلات يعتمد اعتمادا مباشرا حيويا على معطيات "العقل" في توفير المادة التي يحتاجها كتاب الرحالة لأن في» العقل صناديق امينه لحفظ شذارات من الماضي"

وهذه الصفة الوثيقة بالذهن أو العقل هي التي تمنح كاتبه وعيا حادا وحساسية مرهفة وطاقة جديدة في القضية في كتاب الرحلة ليست مجرد سرد حيائي تفصيلي للأحداث، انما هي عرض الرحلة حياة مفعمة بالثراء والتنوع، فهو يعمل حواسه بالتحليل والكشف والحدس والرؤية فلا بد أن يكون له حسا قويا للملاحظة والكشف، فمثلا قال نزار قباني "ان اصطدامي بالعالم وبالمدن واللغات والثقافات، جعل ذاكرتي كذاكرة آلة التصوير لا تنسى شيئا ولا تهمل شيئا"².

ومن هنا يمكن القول بأن أدب الرحلة بأهميته العلمية أو الأدبية له علاقة وثيقة تصب جذورها بالمدينة ولا يمكن انكار ذلك. أي هناك رابطة متصلة وجامعة بين أدب الرحلة وبين المدينة بحيث رابطها وثيق لا يمكن الفصل بينهما .

¹ جمال نوال، جماليه ادب الرحله عند ابن بطوطه، ليسانس، المركز الجامعي العقيد اكلي ا محمد اولحاج، 2010 - 2011،

البويره،ص 8

² جمال نوال، جماليه ادب الرحله عند ابن بطوطه، ليسانس، المركز الجامعي العقيد اكلي ا محمد اولحاج، 2010 - 2011، البويره

ص 09

لأن كل عالم جغرافي أو أديب قام برحلة أو بسفر الى بلد غير بلده الا وثق ودون ما واجهه وما شاهده وحتى رحاله الى قلب المكان الذي يمكن تسميته بالمدينة التي قد تختلف عن القرى البدوية، التي باعتبارها ميزة تنفرد بعده نقاط من غيرها.

بحيث تعتبر المدينة محل انتباه كل راحل اليها، بحيث يقوم بوصف كل ما رآه من عمران وآثار وعادات وتقاليدها سكانها.

تعتبر هذه الثنائية مكمله للأخرى ولا تقوم الأولى الا بوجود الثانية والعكس صحيح، كما يمكن القول بأن للمدينة مكانة هامة في أدب الرحلة، وقد تتطور بتطور الزمن. فالانطباع والصورة للمدينة فضاء واسع قابل للمزيد من تحصيل المعارف.

لقد برزت مجموعة من المدن في الرحلة، وتم ذلك برغبة الرحالة في المدن التي أرادوا زيارتها والتي احتوت على أهم المعالم والآثار، بحيث يقدمون لنا انطبعا المدينة الأم والقرى المجاورة كما تعتبر المدينة مكانا مفتوحا لاتساعها ولاحتوائها على العديد من العناصر (الشوارع، المباني، الطرقات) باعتبارها مكان واسع امتداد، كما ذكر العديد من الرحالة عدة مدن أثاره انتباههم وشغلت عقولهم وحواسهم.

لقد كانت المدينة بصفاتها مركز وبؤره كل بلد بحيث أعطت لهفة خاصة لأدب الرحلة وامتع بدورها كل زائر بجمال هندستها، وطيبة شعبها، وتقدمه من الناحية الاقتصادية وانفتاحهم الفكري.

لقد كان للمدينة تأثير على الأدب والأدباء وعلى كل عالم، ويتمثل هذا التميز والاختلاف بتنوع امكانياتها وتعدد أشكالها وتقلبات شعبها، وجاذبية عاداتها التي قد تكون غريبة من نوعها أو فريدة، وتعدد أديانها وتنوع شعائرها وقوانينها كما أضافت بدورها تشكيلة جميلة من نوعها لأنها أخرجت أحاسيس من زائر وراحل اليها جعلت منه مبدع من فصاحة في لسانه وقوة في

وصفه وتعبيره ليعطي لكل قارئة ومتلقي فكره التي أخذها من هناك دون لجوء الى السفر والترحال.

وعلاقة وطيدة لا يمكن الفصل بينهما أضفت كل ما هو ايجابي وفيه منفعة.

كل متجول وسفير وزائر لبلد ما، يخطر في باله فكرة وهي زيارة لمدينة ذلك المكان يحطون رحالهم بها لأنها تختلف عن كل قرى ونواحي ذلك البلد.

الفصل الأول

أدب الرحلة وموضوعة المدينة

الفصل الأول: أدب الرحلة وموضوعه المدينة

المبحث الأول: مفهوم أدب الرحلة

لغة:

1- أدب الرحلة:

ان الانسان منذ نشأته كان مرتحلا، والرحلة راسخة في طبيعة الانسان فمن العدم الى الوجود، كما يمكن ذكر رحلة سيدنا آدم عليه السلام الأولى، من الجنة الى سطح الأرض وابتد رحلته الثانية رحلة سيدنا نوح عليه السلام في السفينة الى بطن الحوت، ورحلة سيدنا إبراهيم مع زوجته الى مصر... وكانت جميع هذه الرحلات موجودة بين طيات الكتب المقدسة.

لغة:

ورد لفظ الرحلة في عدة معاجم و قواميس و عموما يجمع الكل على نفس المدلول ، جاء فيه مقاييس اللغة مادة (ر.ح.ل) " الرءاء " الحاء " اللام " أصل واحد يدل على معنى بالسفر
.....¹

فنقول " ارتحل القوم من المكان ارتحالا، ورحل المكان يرحل وهو راحل من قوم، رحل: انتقل
.....

و الترحل و الارتحال ، الانتقال و هو رحلة و الرحلة ²

كما نلاحظ الاسم الرحلة بالضم و الكسر يقال أنه لذو رحلة الى الملوك ، و الرحلة حكاة " "الليحاني" ، أي ارتحال ، أو رحلة بالكسر ، و الارتحال للميسر ، يقال بنت رحلتنا ، و منه

¹ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج 2 ، ط1 ، دار الجيل بيروت ، سنة 1411 هـ .

² ابن منظور ، لسان العرب ، مج 11، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، د ، ت ، ص 279.

قوله تعالى : (رحلة الشتاء و الصيف).¹ "و بالضم الوجه الذي تقصده و تزيده و تأخذ فيه"² - "و عليه فان الرحلة تعني السفر و الرحلة الوجهة .و من قبيل ذلك أرحل فلان : كثرت رواحله فهو مرحل....، و الرحال : العرب الذين لا يستقرون في مكان و يحلون بمشيتهم حيث يسقط الغبث و نبتت المرعى.³ ، أي أنهما نقيض الاستقرار و الثبات .

تجمع هذه المفاهيم على أن المفهوم اللغوي لأدب الرحلة، يحيل في اللغة العربية على معنى السفر والانتقال والوجهة الذي يراد السفر اليه.

"أثار هذا الأدب اهتماما بالغا لسبب تنوعه و غنى مادته فهو تارة علمي و تارة شعبي و هو طورا واقعيًا و أسطوريًا على السواء تكمن فيه متعة كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثل لها في هذا الأدب أي شعب المعاصر للعرب."⁴

اصطلاحاً:

"ان تعريف الرحلة من الوجة الاصطلاحية تتمثل في كونها صياغة ادبية يعبر الأديب من خلالها عما تختزقه من أحاسيس وهو يجوب الآفاق مرتادا ومتعلما. وقد يراوح أحيانا بين الشعر النثر وتجدر الإشارة في هذا المقام الى أن مفهوم الرحلة مفهوم متشعب متداخل الدلالات فقط يعني مجرى الانتقال من اقليم الى آخر، وقد يفصح عن الفن أدبي يقوم على علاقه زمنية مكنية تقدمه التقليد الأمين وعرض الخواطر بدقه.⁵ "

ولقد تم الاتفاق على أن الرحلة نوع من الحركة التي ينتج عنها مخالطة الناس وأقوام وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الانسانية، بعض جوانب حياة الناس اليومية

¹سورة قريش الآية 2

² الزبيدي ، تاج العروس ، ج7 ، دار الصابر بيروت ، د، ت ، ص 341

³إبراهيم مصطفى و الآخرون ، معجم الوسيط ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، ج2 ، دار الدعوة ، د، ت ، ص 334-335

⁴ شوقي ضيف ، الرحلات ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، د ، ت ، ص 8

⁵خالد التوزاني، ادب الرحله جديله الان والغير في عالم متغير، الطبعة الاولى، دار الكنوز عمان 2020 1441 م ص 202

لمجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، إذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس للإنسان، واثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين.

" لا يمكن الحديث عن أدب الرحلة دون توفر سفر حقيقي ونصوص ابداعية تسرد تفاصيل ذلك السفر اذ يرتبط أدب الرحلات بالتجربة المنجزة من قبل شخص راغب، له من الامكانيات ما يجعله يستفيد من تجارب الآخرين المسموعة والمشاهدة، مع القدرة على ابتكار ما يميز ذات الرحالة أثناء تفاعله مع الحدث والزمان والمكان.¹ وبرغم ما يتسم بأدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي الى الحوار الى الوصف وغيره، فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصص المحتمد على الساده المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى. هي متعة تثيرها الطرفة والمواقف المرححة التي تحدث مع الرحالة يوميا تعوم السفيرية² .

وخلاصة القول إن الرحلة هي دليل القارئ في متاهات المجهول من البلدان والأجناس يرافقه خطوة خطوة، ليأخذ بيده ليصل الى الغاية الكبرى المتمثلة في الكشف عن الخفايا والأسرار التي لم تكن مطروقة ومألوفة من قبل على كافة الأصعدة والمجالات.

أنواع الرحلات:

لأدب الرحلة أنواع كثيرة ثرية بالتراث العربي الأصيل وذلك بتنوع شعبها، وحمولاتها الفكرية والمعرفية نذكر منها ما يلي: الرحلات العلمية:

" ان أولى القصص التي تحدثت عن الرحلة العلمية في القرآن الكريم هي رحلة موسى عليه السلام، ولقاء الرجل الصالح (الخضر) عليه السلام، واستحبابه، لغرض التعلم، قال تعالى

¹المرجع نفسها 419

²المرجع نفسه 420

(وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا). فقد شد الرحال كثير من العرب المسلمين سعيا وراء العلم. فأصبح الارتجال والسفر منذ القرن الأول الهجرة أشبه بالضرورة اللازمة لينبثق عنه من فوائد، وقد أكد الرحال " ابن خلدون" على أن الرحلة في طلب العلم واجب لا بد منه، وذلك لتحقيق الفائدة الشاملة، ويرى " كراتوشوفسكي" ان طلب العلم هو دورة دراسية لغرض اكتمالها لا بد من الرحلة¹.

وهنا تكمن قيمة الرحلات العلمية في احتوائها على كثير من المعارف الدينية والفكرية والمعرفية..... في تلك المدونات النفيسة التي تمت الى جغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع.....

بأوثق الصلات، إذ يصور فيها الرحالة مشاهد، ويكتب التقارير الوافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية..... للبلدان المجاورة التي يتم السفر اليها والتعرف على بعض معالمها الاثرية، ووصف ممالكها وقطانها، وأصقاعها واقطارها، ومسالكها وطرقها.....

الرحلات الدينية:

"مما معلوم بأن الرحلة الدينية تقع ما بين هجرة وجهاد الحج، فالهجرة هي أولى أشكال الرحلة الدينية، وقد قام بها بعض المسلمين الى الحبشة (أولى رحلات المسلمين في سبيل الله) اقرارا به من اضطهاد قريش وظلمها، والهجرة الثانية هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة. وقد اشتهر المغاربة أكثر من غيرهم بالرحلات الدينية، إذ كثرت رحلاتهم الحجازية وفي تلك الرحلات التي تكون صوب البقاع المقدسة للزيارة أو الحج ففي

¹الاستاذ بوقرط الطيب، فن الرحلة، الطبعة الاولى، دار غيداء، عمان، 4287 / 8 / 2017 ص 22

رحاب الرحلة الحجازية تسمو مقاصد الروح، وتتعالى الصحة الايمانية في زخم لا تعيقه الأهوال في سبيل تلبية نداء الله عز وجل للقيام بفريضة الحج¹. "

الرحلات الاستكشافية:

"وهي رحلات مصطبغة بالطابع التجاري، حيث يعني فيها الرحالة باستكشاف الأسواق، وكذا السلع، حيث يسجل الرحال بعض معاينا وشاهد في تلك الاماكن التي زارها أو مر بها. اذ أن للتجارة قيمة كبيرة

(استيراد وتصدير) تسعى من خلالها المجتمعات الى بيع ما يفيض من حاجتهم وشراء ما ينقصهم داخل الأسواق المحلية و العالمية². "

ومن المهم أن نشير في هذا الصدد الى أن الرحلة التجارية عند العرب لم تقتصر على البر فقط بل كان للرحلات المجرية دورا كبيرا في حياة العرب بسبب الموقع الاستراتيجي لأغلب البلدان العربية من خلال اطلال المغرب العربي الكبير على البحر، وكذا أطاحت الجزيرة العربية بالبحار من ثلاث جهات مما أدى بهم الى ركوب البحر، ولعل اشهار تلك الرحلات رحلات سليمان التاجر المعروف السيرافي منتصف القرن (3هـ - 9م)

"هكذا ظلت الرحلات تمثل نمطا في التفاعل و الحركة و المخالطة ، و معاشه أقوال الآخرين بغية الوصف الدقيق و الموضوعي ، و ليس من رأى كمن سمع ، و في هذا

¹المرجع نفسه ص 24

²بوقرط الطيب، فن الرحلة، ط1، دار غيداء، عمان، 2017 ص 22

المعنى قول البيروني : "انما صدق القائل ، ليس الخير كالعيان ، لأن العيان هو الادراك عين الناظر عين المنظور اليه في زمان وجوده ، و في مكان حصوله".¹

الرحلات الاستطلاعية:

"وهي رحلات تتبثق في أغلبها عن توهج حب المغامرة والاكتشاف من خلال تنامي قيس الرغبة الاستطلاعية في حبس نبض الاحوال البلدان والقطان، وذلك بتقصي أخبار شعوب وحالها وطرائق العيش.....الخ. فرقه كان حب الاستطلاع والتفتيش عن المغامرة واقعة لكثيرين في جوب الأفق حبا وشوقا الى تقصي عوالم مجهول وأطراف الوجود على الأرض.

وتلك الرحلات نجد رحلة الفتية المغرورين أو المغرورين الذين ورد كرههم عند الرحالة الادريسي وذلك في كتابه "نزهة المشاق"، حيث قاموا برحلتهم بغية اكتشاف بعض مجاهل بحر الظلمات (المحيط الاطلسي)².

الرحلات السفرية: (السفراء)

وتسمى أيضا بالرحلات الدبلوماسية أو السياسية، وفيها يشد الرحالة ترحال صوبه بلدان أجنبية وذلك بغية القيام بأعمال دبلوماسية منها:

التمثيل:

أي تبليغ وجهات نظر الرسمية لسلطة التي يمثلها الرحال الى السلطة فيها.

التفاوض:

أي التفاوض والتفاعل بهدف توصل الى نقاط للتلاقي تؤدي الى اتفاق أو تسوية أو هدنة أو صلح.

¹ أيد الريكان بن أحمد البيروني ، تحقيق مال للهند من مقولة مقبولة في عقل أوامر الدولة. ط / مجلس دائرة و المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، 1958 ، ص 1.

² المرجع نفسه ص 24

جمع المعلومات وتحليلها:

اي اعداد التقارير لربط بين الموضوعات والأحداث والظواهر مما لا يتوافر لدى المراقب العادي.

حماية المصالح:

مثل مراقبة تنفيذ المعاهدات الاقتصادية والتجارية المعقودة بين بلد الرحال والبلد المضيف له.

وغيرها من المهام والأعمال كنتمة هدنة. أو اطلاق أسرار أو ابرام صفقات أو مهمات سرية.....، ويحصل الرحال على الامر من بعض السلاطين والملوك و أهل الأمر.....، حيث ينتقل الرحالة أمر مهمة لتسجيل ما شاهده في تلك البلدان البعيدة¹.

الرحلات الفهرسية:

" في هذه الرحلات يعني الرحالة بتسجيل سير الشيوخ وأهل الدراية الذين قرأ عنهم أما بصفة مباشرة أو بما تلقاه عنه من أفواه من لقيتهم من المشايخ وأهل العلم، حيث يولد الرحالة في مدونته الرحلية شرائط غزيرة الانسانية الكثيرة تلك المتصلة بأصول الروايات. فقد أضحت الرحلة الفهرسية من أهم المصادر في تاريخ الأدب العربي، وهي مفيدة جدا لمعرفه تراجم العلماء والادباء"².

الرحلات الخيالية: (الروحية)

¹بوقرط الطيب، فن الرحلة، ط1، دار غيداء، عمان، 2017 ص 28

²المرجع نفسه ص 29

تفيض الرحلات الخيالية بألوان من المتعة التي تمتزج بروعة التعبير والتصوير والخيال.

" وقد تفتن في هذا الضرب من الرحلة الروحية غير جسدية المتصوفة، حيث كان الكثير من المغاربة يكتبون رحلات حجازية خيالية، في شكل شعر يمدحون فيه سيد الخلق الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، كما كانوا يصفون في قطوفهم الشعرية الأماكن المقدسة لدى المسلمين. وبعد هذا الرصد المقتضب لأنواع الرحلات تتراءى لنا حقيقة جوهرية مفادها ماذا تنوع الرحلات التي تعدت أنواعها حسب تعدد أهدافها، حيث قد تشترك الرحلة الواحدة بأكثر من هدف.¹

ومن هذا المنبر يمكن ذكرك أعلى مثال رسالة الغفران.

في هذا النوع من الرحلة الخيالية سنذكر الذين هم فاقدون أبصارهم يلجؤون للخيال، ولا ولا يشترط ان يكون هناك رجال لتدوين بل قد يذهب آخر للرحلة وغيره يدونها يلجا بمخيلته.

أهم الرحلات الجزائرية:

تمثل كتابه الرحلة صنف المتميزة من الكتاب الادبية التي عرفتها بلاد الجزائر العثمانية، ويعتبر هذا الصنف امتدادا لكتابه الرحلات التي عرفها المغرب والاندلس من قبل، مع رحلات ابن رشيد، وابي القاسم، والعبدي، وابي البقاد البلوي، والقلصادي وغيرهم.

في خضم هذا الهوس الإبداعي ، شكلت الجزائر احدى المحطات البارزة و المهمة في أدب الرحلات أسهمت بشكل كبير في هذا النوع من الإنجاز الأدبي الرفيع المتميز بالمغامرة و المجازفة و المعروف بأن أدب الرحلات ، و كانت بعض رحلات الجزائريين تلبية لنداء الحج

¹المرجع السابق ص 29

و بعضها نتيجة طلب العلم ، و بذلك أسهموا مساهمة واضحة في كتابة رحلات و لاسيما خلال القرن 18 م و 12 هـ¹

وتتحرك نفس الدوافع التي عهدناها من قبل في انتاج الرحلات المذكورة، لتكون وراء كتابه أكثر رحلات التي عرفتها الجزائر. وقد كانت الرحلات الى بلاد الحرمين الشريفين هي المقصد الأول للرحالة الجزائريين، فقد أدرك هؤلاء قدوسيه أرض الحجاز.

1- رحلة احمد المقري عبر كتاب رحلة في المشرق والمغرب وكتاب نفح الطيب في عصر الاندلس الرطيب(1041-1634)

ولا رحلات القرن 11 للهجرة هي تلك التي ألفها ابو العباس احمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ابي العيش التلمساني، المغربي، المالكي، الاشعري، وهي تحت عنوان " رحله في المشرق والمغرب " وأيضاً عبر كتاب " نفح الطيب".

لقد كانت رغبة المقري شديده لزيارة باب الحجاز فيقول: (ان العبد كان يروم اللحاق بتلكم الدار المحروسة، بتوفيق الله من الاغيار، فلم تساعده الاقدار، ولم يحصل من الإقامة، الا من اشجار واكدار، ولما اتحت للمقر فرصه السفر، عزم على تحقيق امنيته بزيارة مكة وذلك في شهر رمضان عام 127 هـ). بعد أن استأذن ملك الغرب وزيدان الناصر بن احمد، فغادر المقري مدينة فاس نحو الحجاز لطاديه الحج والعمرة، فسافر في البر مارا بالجزائر وتونس، ثم اجتاز قرى مصر المحاذية في نهر النيل، وركب البحر متجها نحو الجدة، وقد زاد أثرها في نفسه بحصول المشاهدة للمآثر الحجازية في مكة المكرمة والمدينة، وأدى المقري في ذي القعدة ثم انتهى موسم الحج، فحجة ثم انتقل راجعا لمصر، فواصلها في محرم من العام الجديد، حيث يقول:

¹ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، ص 395

" (ثم شمريت عن سعيد العزم بعد الإقامة بمصر مدة قليلة، الى المهم من أعظم المقصد الاكبر الذي هو سر المطالب الجديدة وهو رؤية الحرمين الشريفين والعالمين المنيفين، ثم سافرت في البحر الى حجازي) راجيا من الله سبحانه وفي الاجر الانتجاز ثم أكملت العمرة ودعوت الله أن اكون ممن عمر بطاعة ربه).¹"

2- رحلة عبد الرحمن بن خروب المحاجي الى مكة (عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري):

رحله منظومة بعد الرحمن بن محمد بن الخروب المحاجي قام بها سنة 1063هـ يصف فيها المؤلف بدقه متناهيه الطريقة من بلاد الحجاز الى بلاده بجاجه بشلف فيذكروا اخبار فريدة عن البلاد التي دخلها.

زار الاماكن المقدسة بالمدينة دار النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمسجد النبوي ومقام الصحابة والخلفاء والتابعين.

وَبَعْدَ زِيَارَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا

وَمَنْ أَنْتُمْ لَهُمْ بِأَحْسَنِ سَيْرِهِ

مَعَ الْحَسَنِ أَيْضًا كَذَلِكَ أُمِّهِ

وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ الْأَجَلَةَ

وفي مدينة «جريدة» بالحجاز تحدث الحجاجي بإسهاب عن وفاه بنت شيخه- وان تجاوز ذكر اسمه- وقد كانت صوامه قوامه صالحه.

رحلنا رحنا بها يومين بعد بعد تجيها كفى شرفا لها بهذي الفضيلة

¹زهري وليد، ادب الرحاله الجزائريين الى مكة والمدينة دراسه وصفيه تحليليه، مجله الدراسات اللغويه والادبيه، العدد الاول، يونيو 2012- جامعه المديه - الجزائر

دفاها بالباقيع وحولها

وسرى نابها نحو الديار

الشريفة

وفي رحله العودة الى الديار نزل الحجاجي وركب الحجاج بلاد مصر واقاموا بها أياما التقى خلالها المؤلف علماء اجلاء.

فصلينا فيهم والتقينا بكل من له

في طريق العلم والخير شعرة

كمثل الاجهاري العالمي الذي

له رتبه تسمو عن كل رتبه

قد حضر مجلس شيخ القراءة ابي سلطان ولم يحق الحجاج اعجابه بعلمه وسعته اطلاعه، كما وصف المؤلف اسواق مصر الكبيرة وجوامعها واهراماتها وريفها ثم انتقلوا المؤلف والركب الى السواحل ونزلوا بلاد الإسكندرية حيث زاروا قبر ابي العباس المرسي وابي عمر وعثمان بن الحاجب كما التقوا شيوخا كثيره عرف عنهم العلم والصلاح، وعلى راسهم ابو محمد الصامت، ثم دخلوا بلادا مقفره جافه سكانها سود:

دخلنا القيافي الخاليه وبعضها

اناس فيها سود الوجوه دميمه

ويكمل الحجاج وصف البلاد التي زارها واحوالها الى أن وصل دار الشيخ " زورق انفاسي البرنوسي" حيث تضرع الى الله تعالى ثم وصلوا المسيرة الى أن وصلوا الى طرابلس.

وفي الاخير مروا ببلاد ليانه وبسكره وقد اعجب الحجاجي بنخليها ثم دخلوا بلاد مسيله واثنيه الحد الجزائر العاصمة، ثم خرجوا منها قاصدين امتيجه وفي مليانه زاروا مقام القطب احمد بن يوسف ثم وصلوا اخيرا شلف وهي موطن الرحالة¹.

3- رحلة حسين الورثلاني نزهه الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار (1779 هـ -

1193 م)

¹المرجع السابق ص 159

الحسين الورثلاني صاحب الرحلة المشهورة نزهة الانظار ووصف لرحلته الى البقاع المقدسة 1779هـ ومؤلفها مؤرخ من الفقهاء المالكية، له اشتغال بالتصوف ، نسبته الى بني ورثيلان ببلاد القبائل، ذكر في رحلته ماشا هذه من الأمكنة وحين اجتمع بهم من الاعيان وحين اخذ عنهم من العلماء، طبعت هذه الرحلة في تونس سنة 1321 هـ في ثلاثة اجزاء لكنها طبعة قد لا يستفيد منها كثير من طلاب العلم، لأنها طبعة حجرية وبالخط المغربي العتيق ثم طبعت في الجزائر سنة 26 و 300 في مجلد كبير وقرأتها متيسره لطلاب العلم، وصورت بعد ذلك سنة 1394 هـ في دار الكتاب العربي.

يبدا المؤلف من صفحة 385 بدخوله مكة المشرفة الى أن خرج من المدينة في صفحة 532 يعني 150 صفحة خصها للحديث عن الحجاز وفيها فوائد علمية كثيرة، كما لا تخلو من بعض المبالغات والغلو. وقد عمد المؤلف الى وصف الاثار من المساجد والأودية والجبال والابار وغيرها وعن لقيه من العلماء، ووصف الطريق التي يسلكها الحجاج في زمانه وذكر الصالحين في كل بلد، يقول الورثلاني: ان اهم سبب دعاه الى تدوين رحلتي الحجازية، شغفه كبير بما راه، وحبه لمن لا فاهم أو سمع عنه: اذ يقول(فاني كما تعلق قلبي بتلك الرسوم والاثار، والرباع، والقطار والديار، والمعادن والمياه والبساتين والارياف والخبر والمزارع والامصار والعلماء والفضلاء والنجباء والادباء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الاخيار والاشباح العارفين والاخوان المحبين.... انشأت رحله عظيمه يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي فأنها ترهو بمحاسنها عن كثير من كتب الاخبار مبينا فيها بعض الاحكام الغربية والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الاحكام الشرعية مع ما فيها من تصوف ما فتح عليه به أو منقولة من الكتب المعتبرة).

وكان الورثلان على عين برحلات السابقين، مطلعاً عليها، فكان أكبر اعتماده على رحله العياشي والعبد وابن فرحون والمقريزي والبكري، كما كان الورثلاني واعياً بمشكلة نقص العناية بعلم التاريخ في دياره فأراد ان يؤلف في هذا العلم الشريف، يقول الورثلاني: (فان علم

التاريخ منعدم فيهم وساقط عندهم فيحبسونه كالأستهزاء، وانشغالا بما لا يعني أو من المضحكة المنهي عنها)

أغراض الرحلات:

لقد اشار فؤاد قنديل في كتابه ادب الرحلات دوافع كثيرة نخص منها أهم الأغراض والدوافع التي تختلف من شخص لآخر.

دوافع دينية:

كان يرتحل للحاجة الى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة، وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة. لقوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾¹

دوافع علمية أو تعليمية:

"زار بغرض الاستزادة من العلم في منطقته اخرى من العالم، ذات صيد ابنائها في مجالات العلوم كالفقه هو الطب والهندسة والعمارة وغيرها، وتذكر كتب الحديث واليسر ان من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار كلما لحديث بنوى سمع به، أو لمجرد تحقق من كلمه فيه، وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي وابن منده والاحنف العكاري الشاعر، ولا نملك لمثل هؤلاء حصرا فما اكثرهم، ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية، والكشوف الجغرافية²."

دوافع سياحية وثقافية:

¹سورة الأنعام الآية 11

²فؤاد قنديل، ادب الرحلة، الطبعة ثانية، دار العربية للكتاب، القاهرة، 1423، 2002 ص 2019

تصدر عن رغبه في الطواف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الاجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفه الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لتعريف المعالم الشاركة الاثار والمنازلات والابراج أو كشف الغرائب والعجائب.

دوافع اقتصادية:

للتجارة وتبادل السلع أو لفتح اسواق جديده لمنتجات محلية، أو لجلب سلاح تتوافر في بلاد اخرى وتتنظر في بلاد المسافر وقد يكون هرباً من الغلاء، وسعياً وراء الرخص واليسر والوفرة أو العمل.

دوافع أخرى:

" قد لا نفهم أو نجد اسباب اخرى للارتحال، كالسخط على الاحوال وضيق العيش أو الهروب من العقوب"¹.

و كالسخط على الأقوال أو الهروب من العقوب.²

المبحث الثاني: مفاهيم ودلالات المدينة

لقد ظهرت عده تعريف لغويه لمصطلح المدينة لكنها تصب في معنى واحد

لغة:

¹مرجع نفسه ص 20

² حافظ محمد بادشاه ، الحجاز في أدب الرحلة العربي ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة اسلام آباد ، (العام الدراسي 2009 ،

2013) ، أطروحة قدمت لنيل الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها ، ص 12

" لعل المعجم الوسيط هو المعجم الذي استطاع جمع شتات معاني (المدينة)، اذ ورد فيه ان " (مدن) مدونا: اتي المدينة (تمدن): عاش عيشه اهل المدن وتنعم واخذ بأسباب الحضارة «. (المدينة): الحضارة واتساع العمران، (المدينة) المعمر الجامع (ج)

مدائن ومدن - يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، غلبت عليها¹. "

مدن- مدنا تمدينا، المدائن: بناها ومسرها- تمدن تمدنا- تخلق بأخلاق اهل المدن انتقل من الهمجية والخشونة الى حاله انس والظرف والراقي.

"المدنية ج مدنيات: مظاهر الحضارة والعمران في المجتمعات المتطورة.

المدينة ج مدن ومدائن مجمع بيوت يزيد عددها على بيوت القرية، الجامع، علم اطلق على مدينة يثرب². "

" والمدينة: الحصن يبني في أصطمة الأرض، مشتق من ذلك- وكل أرض يبني بها حصن في اصطمها فهي مدينة، والنسبة اليها مدينتي والجمع مدائن ومدن، قال ابن السيدة: ومن هنا حكم ابو الحسن فيها حكاة الفارس ان مدينة فغيله. الفراء وغيره: المدينة فعيله تحمز بالفعل لان الياء زائدة، ولا تهز ياء المعاش لان الباء اصلية، والمدينة اسم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاصة غلبت عليها تفخيما لها، شرفها الله وصانها، واذا نسبت الى المدينة فالرجل والثوب مدني، والطير نحوه مدني، لا يقال غير ذلك قال بسوية: اما قولهم مدائني فانهم جعلوا هذا البناء اسم للبلد وحمامه مدينة وجاريه مدينية، ويقال

¹ بورايو عبد الحفيظ حمادي عبد الله، مدينه قسنطينه في ادب الرحلات ماجستير، جامعه منشوري، 2007، 2008، قسنطينه، ص

.11

² قاموس مجاني طلاب، ج 2، طبعه الخامسة، دار المجاني شرميل، بيروت، 2001 ص 903

للرجل العالم بالأمر الفطن، هو ابن جدتها وابن مدينتها وابن بلدتها وابن بعثتها وابن سرسوريا¹"

اصطلاحاً:

واشتق مصطلح المدينة من الكلمة اللاتينية (CIVITATEM) ، والتي تعني المواطنة أو المجتمع المواطنين، وتعرف على أنها منطقة سكنية تحتوي على عدد كبير من الناس بالنسبة لمساحة الأرض التي يعيشون عليها، ويسكنون بقرب بعضهم البعض في شقة منفصلة أو مساكن متعددة الشقق، وتدار المدينة من قبل الحكومة من خلال وضع أنظمة خاصة لتوفير المرافق وطرق للنقل وعملية للصيانة لتسهيل حياة المواطنين، واليوم تعد مدينة شنغهاي في الصين أكبر مدينة في العالم.

" كما يطلق مصطلح المدينة على المناطق التي تتميز عن غيرها، من المناطق بقانون أو تقليد. وتشير أيضا الى المجتمعات الحضرية والتي لديها ثقافته محدده والمعروفة باسم التمدن.²"

فقد تعدد التعاريف العلماء المؤرخين بتعدد الأمكنة وتغيير الأزمنة حيث اعتبر اريستو أن المدينة مجموعه من الذكريات الصخرية الممكن إدراك معانيها ومكوناتها اما ابن خلدون فيرى: «ان المدن والامصار ذات هياكل واهرام عظيمه وبناء كبير.....

"وهي موضوعة للعمولة للخصوص فتحتاج الى اجتماع. الأيادي وكثرة التعاون.... فلا بد في تمعير واختلاط المدن من الدولة³"

¹ امام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور اغريق المصري، لسان العرب، الجزء 13، طبعه 1- 2- 3، دار

الصادرة بيروت، لبنان 23 ص 402

² Mawdou3.com

³ مصطفى مدوكي، مفاهيم عامة حول المدينة، ليسانس جامعة محمد خيضر 2013- 2014

" وتكشف أوصاف الجغرافيين للمدن في عصور ملاحظة عن مظاهر التغيير التي تحدث فيها سواء كان هذا التغيير تطور العمران المدينة وازدهارها أو انحدار وتخلف ربما يؤدي بها الى التحول من منزلة المدينة إلى البلد أو القرية وربما ينتهي بها الحال الى الإندراس"¹.

مهما تعادت الاسس والنظرية التي اعتمدها المؤرخون والمهمون شؤون الحضارة في تغيير نشاه المدينة فان اغلبها على نظره احاديه لا تغطي غير جانب من جوانب مختلفة: الاجتماعية الاقتصادية، السياسية، الثقافية.

" ولعل نظريه المؤرخ الفرنسي(فونتيل دي كولنجل) الذي يفسر نشاه المدينة العتيقة معتمدا على عقيدة القدماء من اليونانيين والرومان كما جاءت في أقدم المراجع اليونانية واللاتينية، في أول نظريه في مجال نشاه المدينة، وهذه الإشارة جاء بها الدكتور البير نصري نادر واقام بحثه عليها " المدينة الكلاسيكية- مدن اليونان والرومان " وخلصه نظريه الدينية تلك اجتمع عدد من العائلات يتكون مجموعته سكانيه ومثلهم فعل الرومان"²

ملاحح المدينة العربية الاسلامية:

كان الاسلام منذ البداية دينا الحضاريات بالمعنى الداخلي للكلمة أو دين مدن نقصد بذلك ان انتشار الاسلام أو تقبله واعتناقه كان مقصور على اهل المدن دون غيرهم.

ولكن المقصود هو ان الحضارة الإسلامية كانت دائما حضارة المدن، فقد ازدهرت النظم الإسلامية في عدد كبير من المدن التي لعبت دورا هاما خلال عصور التاريخ الاسلامي كلها، وفيها كانت تتركز مظاهر الحضارة الإسلامية المميزة مثل المساجد الكبرى والمدارس الدينية والزوايا الصوفية ولقد ظل هذا النظام قائما حتى القرن 19، فظهرت الزوايا السنوسية في ليبيا في المراكز الحضارية وليس بين البدو أو سكان الصحراء.

¹ عبد الحبار ماجي مفهوم المدينة الإسلامية (2) مجلة المدينة العربية العدد 15 ، السنة 1984 ص 64-66

² بورايو عبد الحفيظ، حمادي عبد الله، مدينه قسنطينه في اداب الرحلات ماجستير ص 13

وقد ولد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة هي مكة المكرمة التي عرفت بأب القرى، وحين امر بالهجرة هاجر الى المدينة اخرى هي المدينة المنورة، ولم يهاجر الى الصحراء، وليس من شك فان عنصر الاستقرار يعتبر أحد المتطلبات الأساسية لظهور الدين ونشاته وتطوره ونجاحه وانتشاره على الرغم من أهمية موضوع المدينة الإسلامية، فالملاحظ أن هذا الموضوع لم يدرس دراسة مقارنة متعمقة في أضيق الحدود. ومع ذلك فان لدينا عدد لا بأس به من الدراسات المفردة عن مدن اسلامية معينة بالذات ولكنها دراسات قليلة على اي حال.

"وقد يسأل سائل: ما الذي يعطي المدينة الإسلامية شخصيتها بحيث توصف بأنها إسلامية؟

وليس المقصود الإسلام الثقافة الإسلامية ككل. وعلى اعتبار أن الإسلام هو أساس للحياة فعن كونه عقيدة وشعيرة، وبذلك فهو الحياة كلها بصيغة واضحة متميزة هي التي نسميها (إسلامية) ومن هنا يكون الجواب لابد من وجود معاني في المدينة تعطيها ذلك الطابع الإسلامي وتميزه عن غيرها من المدن، هي معالم وملامح قد يكون بعضها ماديا محسوسا ولكن البعض الآخر هو بغير شك ملامح ومعالم معنوية أو نوعية تتعلق بأنماط السلوك والقيام والعلاقات الاجتماعية بين سكانها¹.

"كما يمكن القول بأن المدينة الإسلامية بدأت دراسة المدن الإسلامية في العصر الحديث مرتبطة بحركة الاستشراق وتطور اتجاهاتها، ولا سيما بعد أن اهتمت الدراسات الاستشرافية بجعل التمدن الإسلامي، ويفسر هذا الارتباط أسس التوجه البحث الذي يحكم هذه الدراسات.

"ويلاحظ أن هناك كثيرا من الدراسات العلمية للمدينة العربية والإسلامية من زوايا مختلفة أوجبها اتجاه البحث ذاته. ولم تتكامل هذه الدراسات بعضها مع بعض - كما أنها انحسرت

¹ بورايو عبد الحفيظ حمادي عبد الله، مدينة قسنطينة في ادب الرحلات ماجستير، جامعه منشوري، 2007، 2008، قسنطينة، ص

في دراسة جزئيات دراسة منعزلة عن ربط بين هذه الجزئيات والكيان الكلي للمدينة، فأدى ذلك الى بعض القصور والى غموض الصور الحقيقية للمدينة الاسلامية¹.

" قد تميزت الحضارة الاسلامية بأنها وجدت في التشريع الاسلامي المفصل لنواحي الحياة دستورا مهيناً صارت عليه حركة المجتمع، فالإسلام دين المدني، وساعد ذلك على سرعة ازدهار الحضارة الاسلامية بصورة منقطعة النظير، ولا سيما أن هذه التشريعات سدت النقص الذي اعترى الفكر الانساني في المراحل السابقة، وأعطت قواعد صالحة لكل جمال ومكان"².

أبعاد المدينة الاجتماعية، السياسية، الثقافية:

المدينة: البعد الاجتماعي

أولاً: المومس وشخصياتها الهاشمية:

هو موضوع خاص فيه كثيرون من الشعراء الغربيين في القرون الاخير، وانعكس أثره على شعرائنا، فتعامل معه كل منهم بلغته الخاصة، كما اختلفوا واختلفوا على أن هذه اللعنة من افرازات المدينة، ويحتل حيزاً كبيراً في رصيد ثورتهم عليها يستوي في ذلك من كان من ابناء المدينة ك نزار قباني بأفضلية السقف في هذا الموضوع فقد انهى ديوانه الأول "قالت لي السمراء (1944) "بقصيده "البغي" وبعد عشر سنوات على الأقل

كتب السياب مطولته المومس العمياء (1954) "

¹ محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، دون طبعه، علم المعرفة، الكويت اغسطس 1988 ص 5

² مرجع نفسه ص 6

وهو فارق زمني يوافق أخطر منعطفات في تاريخ الشعر العربي، ثم رأيها عند صلاح عبد الصبور وحجازي وامل دنقل وسعد يوسف، بطرق مختلفة في التفاعل.

"بدأ نزار قباني في قصيدة " البغي " على ضوء قنديل البغي الشحب مصورا قضارة الحي وبويت البغاية التي وضعت عليها أسمائهن والمقهى والعجوز المرتبطة بالرزيلة تدير بين البقاء الى سمسار اللحم البشري الذي يعرض الباغية على الذئاب البشر¹:

"علقت في بابها قنديلا نازف الشريان محفرا القتيلة

في زقاق ضوأت أوكاره كل بيت فيه مأساة طويلة

غرف ضيقه موبوءة وعناوين لماري وجميلة

وبمقهى الحي حافي هرم راح يشتر اغانيه الرزيلة

وعجوز خلف نرجيلتها عمرها أقدم من عمر الرزيلة²

لما جعل الشاعر يثور ضد المدينة متدخلة في سير القصيدة":

اي ارق مثل انثى ترتمي تحت شاريها بأوراق ضئيلة؟

قيمه الانسان ما أحقرها زعموه غاية..... وهو وسيلو

" تلمحه هنا طيف الطبقة التي تملك أوراق تشتري بها قيمة الانسان، وفي صورة حسية منتزعة من الواقع المزري بشكل "فوتوغرافي". وصوره الخلاص لدى بغي ثم ارتكنا في العدل الاجتماعي، ولا نرى من هذا العدل الا رغبة المرأة في مساواتها بالرجل من حيث

¹مختار علي ابو غني، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، الكويت، 1955 ص 102.

²نزار القباني، ديوانه الاول "قالت لي سمراء" 1944 قصيده البغي

النظرة الاجتماعية عند وقوع جريمة الزنا، فيجب أن تستوي الموازين الاجتماعية بين جناحي المجتمع.¹

" كتب بدر شاكر السياب قصيدة "المومس العمياء" سنة 1954 ، ونشرت في ديوانه " انشدوة المطر " واختارت بطله القصيدة فلاحه بسيطة من جيكور كانت تسقي الماء من نهر بويب لشعرنا منذ البداية ان القضية أكبر من أن تكون مأساة فرديه، وانما هي مأساة قريته بل كل القرى و أن الجناية آتية من مدينة على القرى، ومن وراء القرية شاعر بالضرورة فالمحنى محنه الثياب والقرية ما دامت سليمة²."

لقد استغل الشاعر "العمى" في المومس، وخلعه على المدينة، وعممه على الأحياء الذين يعيشون في المدينة، فأحسن هذا الاستغلال، لأنه بذلك برر تبادل بين الليل والمدينة في العمى واتحادهما في معناها.

" وكان السياب بذلك وضع المشكلة الاجتماعية في شكلها النموذجي فالبغي لا تحي الا بالزنا فهو ناتج عن فساد اجتماعي، ولكن الحتمية الاجتماعية طارئة غير طابع اجتماعي موقوت، كالقوي والضعيف، والغني والفقير، وهي من الحتميات التي تزول اذا تدخل الفعل الانساني بالإصلاح³."

المدينة والمسألة الاقتصادية:

" لا يماري أحد من أن المال عصب الحياه، ولكن الاحساس به في المدينة حاد، حتى أصبح ظاهرة عدوانية، تمتحن كرامة الانسان، وتسلب قيمته، فالحاجة الى المال كانت وراء

¹ مختار ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، كويت، 1995 ص 101

² المرجع نفسه ص 107

³ المرجع نفسه ص 112

ظاهرة البغاء وشخصيات ممثل الهامشية، ويمثل المال احدى الزوايا الدرامية في قصيده " حفار القبور " فالجثة التي كان يحلم بها الاستماع هي نفس الانسان التي كانت تأخذ منه المال لقاء ليله معها، وتكون اللفت الدرامية هي استخراج حفار القبور للنقود التي اخذتها منه في لياليه البوهيمية¹.

وبدر شاكر السياب ارتفع بكلمة المال كظاهرة مادية الى مستوى الانسانية الشامل معربا عن الهامة الثقافي، فهو في قصيدة المومس العمياء ينهض من المعاناة الوجدانية الى معاناة الثقافية، وذلك لإشارة الى المقولة الأساسية، وهي أن المال شيطان المدينة.

المدينة والطبقية:

ان فقدان العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة، ترك المجتمع ممزقا بين طبقتين طبقه الفقراء، وطبقه الاقطاع وراس المال، وبمقتضى منهج الواقعية في الابداع الأدبي.

" الخلاصة ثم سبق رؤيته في الساحة الاجتماعية من: الجوع والفقر، والاقطاع وسوء توزيع الثروة المالية، تؤدي الى طرق الاشتراكية كحل اجتماعي يضمن قدرا من التقارب بين طبقات الشعب، وما خرج من الظلمات التي عاشها شعوب المنطقة."²

المدينة والبعد السياسي:

للمدينة وجهان: اجتماعي والسياسي، والصلة بين الوجهين، والارتباط بينهما وثيق، والشعر والحديث منه على وجه الخصوص، مشبع بالوجدان السياسي، ذلك أن سلطه الدولة الكبيرة، ومشاكلها ملحه، من الحرب والسلام، وقضايا متطلبات الانسان، ومشاكل التحرر، بحيث ولايتها وهم احد نفسه بعيدا عن مؤثرات سياسيه غير السذج والبطان وحتى هؤلاء كثيرا ما يتأثرون بالسياسة رغما عنهم، تماما الحيوانات الصغيرة التي تدهسها السيارات، وكالأطفال

¹ مختار علي ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، - كويت - 1995 ص 134.

² المرجع نفسه ص 143.

الذين يموتون بقنابل الحرب، وكل منا-- مهما شعر بالاستقلال واحد من الكثيرين فحياتنا الخاصة سياسيه، وقد لا ندرك ذلك الا حينما تحل بالمجتمع، وحينئذ تستيقظ على الحقيقة الصارخة بان مصالحنا الخاصة تحتل على المصالح العامة.

وقد كان العامل السياسي من الاسباب التي دعت الرومانيين الفرار من المدينة نظرا للفراغ السياسي الذي عانوه في المدينة. ولكن المدينة العربية المعاصرة قد طلعت عليها تغييرات سياسية مهمه، غيرت شكل الفكر في الساحة العربية، فبرز الروح القومي واهتز وجدان الشعب العربي في المدن العربية، وكان الشعراء طليعة شعوبهم، واصبحت المدينة ملتقى للشعر السياسي، فانجذب اليها الشعراء بمتي ترمز اليه من ازدهار في الساحة العربية مع تداعيه الذاكرة عند السياب في مثل قوله:

تدور في الحقول حولها بشر

وفي قوله: وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق

وقبلهما قوله: في العراق جوع

ما مر عام والعراق ليس فيه جوع.

" حيث يرد العراق معنيا واضحا ومعنيا واضحا، ولا يغرق المستوى السياسي في تفاصيل الصراع، بل يكتفي بالإشارة الى المسألة الأولية (الجوع)، بحيث تبقى الإشارة السياسية مجموعات من اللحم. ولا تشمل مستوى اخر يشد على المستوى الأسطوري"¹.

الحرية السياسية:

ان تجربه الشاعر السياسية غالبا ما تتكثف وترمز في المدينة، لأنها مكان وقيده وشاهد هوانه، وهذا ما يجعل تحليل الحرية السياسية الشعرية عميق لارتباط بمشكلة المدينة، والحرية

¹ مختار علي ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، بيروت، 1995 ص 151

وثيقة الصلة بالاغتراب السياسي، لان فقدانها في داخل الأوطان يؤدي الى الاغتراب السياسي، ولذلك فان المدينة التي تحارب الحريات مدينة كريمة، وكراهيتها نابعه من النظم السياسية التي تحجز على الحريات. وكان الشاعر امل دنقل من خيره الشعراء الذين الحوا على ملمح الحرية، أو على وجه الدقة فقدان الحرية.

المدينة والوحدة العربية:

ربما كان حجازي ابرز شعراءنا المعاصرين اهتماما بالوحدة العربية التي تمثلت نواتها في الوحدة بين مصر وسوريا، وقد وقع الانفصال السوري فحطم احلى امل قومي يراود الشعب العربي، وقد عالج حجازي موضوع الوحدة في اكثر من قصيده، ففي ديوانه "لم يبقى الا الاعتراف" ثلاث قصائد مباشرة في موضوعة في " درثاء المالكي " من -306 310الديوان الكامل)، وفبراير الحزين (320-316) مختار علي ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، بيروت، 1995 ص 151 وعوده فبراير (362-359) وقصيدتان تعالجان نفس الموضوع ولكن بأسلوب رمزي:

المدينة/ الشهية:

"ولا تقول لمن يقتل في سبيل الله اموات، بل احياء ولكن لا تشعرون" بقرة 154 وقد كان الشهيد من العناصر التي عقدت صلحا بين الشعراء والمدينة لما يجمع بينهما من رمز سياسي يستقطب مشاعر الشعراء وها هو صلاح عبد الصبور منذ ديوانه الأول يصطلح مع المدينة من ظلال الشهيد،، في صورته واقعيه، تتوحد فيها المدينة، ويتصل الغرباء، لقوله:

كل مساء ينزل شهيد في مدينته

ينبثها اشواق قلبه البريء

وامس مره ثم حي وجهه الوضيء

هنيهة وماج ثوبه على استدارة الأفق

فوق ربي المدينة الفساح

وانطفات جراحه في صدرها الجريء¹

ونور المساء بالجراح

كانه صباح²

الأنماط الرمزية للمدينة:

أولاً: مدينة المستقبل «يوتوبيا»:

"يوتوبيا : هي كلمة اغريقية معناها " لا مكان " والمقصود بها " المدينة الفاضلة " وهناك نوعين من يوتوبيا حيث تتسم الأولى بطابع انساني، واخرى ذات سمة صناعية³.

يوتوبيا انسانية:

كان افلاطون قد ارسل معالم هذه المدينة في جمهوريته، وللقرابي كتاب مطبوع بعنوان " اراء أهل المدينة الفاضلة " وقد تخيل كاتب الانجليزي توماس مورفي " وتوبيا " في كتاب الفه باللغة اللاتينية سنة مختار علي ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، الكويت، 1995 ص 1516 م رسم فيه صورته سياسيه اداريه لجزيره خياليه، تضم مجتمعنا مثاليا كما يريده هو، قياسا على جمهوريه افلاطون ، وقد ترجم

¹ صلاح عبد الصبور، ديوانه الاول

² مختار علي ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، الكويت، 1995 ص 212

³ مختار علي ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، الكويت، ابريل 1995، ص 219

كتاب مورفي الى الفرنسية عام 1550 م و الى الإنجليزية عام 1551م ، و آخر الدعاة الى المثل الاعلى الافلاطوني الجديد هو الفيلسوف هيجل ، وهو الذي قدم شأنه في ذلك شان افلاطونيين الجدد حتى كانت واقع الفكرة) أو الواقع المثالي (على واقع الوجود) الواقع الاختياري (، فاين شعراؤنا من فكره " وتؤبيا "في سماتها الإنسانية؟

المنظور الروماني من المدينة لدى شعراءنا أحد البواعث في البحث عن البدائل والتشوق الى مدن الفاضلة، فالشاعر مثل احمد عبد المعطي حجازي يجب على الطريقة الرومانسية فلا يروح بحبه، بل يقرعوا الى خياله الروماني ما هو من حول المدينة لا يتركه فيها الناس وحيدا كما هو واقع مدينة المعاصرة، بل يصغون اليه وهو يعرب عن عواطفه في الليل.

"ولكنني في السماء أبوح، أسير على ردهات السكينة

وافتح ابواب صدري، وأطلق طيري، وناجي ضياء المدينة

إذا ما تراقص تحت الجسور

اقول له يا ضياء..... اروي قلبي فاني احب¹

اقول له: يا انيس المراكب والراجلين اجب

لماذا يسير المحب وحيدا؟

لماذا تظل ذراعي تضرب في الشجرات بغير ذراع؟

ويبهرنني الضوء حتى أحس كأنني بعض ظلال، وبعض ضياء

امسك ان المدينة تدخل قلبي

¹المرجع نفسه ص 220

كان كلاما يقال، وناس يسرون جنبي

فاحكي لهم عن حبيبي.

وليس هناك مدينة فاضله، وانما تهويه يلوذ بها الشاعر من قسوة المدينة وجفافها، فيها روح التشوق الى مدينة فاضله؟ وفيها بعض صفات المدن المستقبلية، من محب وسفر، وبوح.

قدمت نازك الملائكة صوره للمدينة الفاضلة في مسحتها الرومانسية لأنها تتسم بالقتامة والكأبة.

وضعتها تحت عنوان " مدينة الحب " في ديوانها " عاشقه الليل " والمدينة تقع في صحراء الحياه وبين تلالها، ودونها نهر ، ويكمن السم الزعاف وراء امواجه البراقة، وكثيرا ما خدعت جنيته الزوارق والحالمين حين تعلقوا بسراب الجمال والفتون في شاطئه الاخر حتى اذا جاءوه لم يجدوا غير شوك واشلاء وضجه ديدان وسباع وطير، وتنتهي القصيدة بنصيحه الشاعر لطرق الابواب المروعة ان لا يهبطوا شواطئ المدينة، وعليهم ان يعودوا ادراجهم الى لهب الصحاري، حتى ينجوا بقلوبهم من حممها وتتساءل ما الذي جعل الشاعرة تسمي هذه المدينة المرغبة "مدينة الحب " ذاتها سراب وتؤبيا المتسرب الى الشاعرة من الروح الرومانسي، " وتؤبيا الضائعة " في ديوانها " شظايا ورماد " وتكون "تؤبيا "مركزا تدور حوله القصيدة بحيث ينتهي بها كل مقطع ولكن المقطع الثاني يصور المدينة بصوره مسحورة، فهي من غير غامض السر، تذوب في سحره الكواكب كما تذوب القيود، وتتطلق الافكار حره من عقالها.

وفي المقطع الثالث تراه ضياء لا تغرب فيه الشمس، وعبير ينضج حي، ونرجس لا يذبل، ورجعت حياه لا تفرغ كؤوسه، لا حدود فيها للزمان وكواكبها لا تنعس، والشباب دائم النشوة¹.....

" ويضيف المقطع الرابع طابعا اسطوريا: شيء من اقاصيص " شهرزاد " و الضوء تسوقه " انديانا " الهه القمر وحاميه العبيد عند اليونان، و " دنار سيسوس "عاشق نفسه يعبد ظله في الشمس، ي وتحلق وتؤبيا في ضباب على الشفق خرافي"².

" كانت أيضا اغاني والانايد من العناصر المشتركة في الوصول الى وتؤبيا عند شعراءنا، كما كان السفر كذلك، والعلاقة بين الغناء والسفر وطيدة"³.

" والملاحظ ان الطابع العامل المدينة الفاضلة في شكلها الانساني، أنها ذات ملامح معينه تلاقى عليها الشعراء ، فهي مدينة الحب، ذات عطور وزهور، النور فيها كاللآلئ لا ينقطع، السفر اليها عامل مشترك بين الشعراء، الوصول اليها مستحيل وشبه مستحيل، وقد يراها الايديولوجيون في المدن الاشتراكية المعاصرة، ولكن مدينة المستقبل لها وجه اخر صناعي⁴.

يتوبيا صناعية:

¹ مختار علي المرجع السابق ص 221

² مختار علي ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، الكويت، ابريل 1995 م ص 221

³ المرجع نفسه ص 233

⁴ المرجع نفسه ص 233

"في احضاني حضارة صناعيه يحترم انسان قلق متأصل الجذور تاريخيا، احتقار المجتمع الصناعي وتقنيه الراقية والتوجس من توقعات المستقبل في آخر ألوان التعبير عن المشاعر الفرع الناشئة مع التصنيع، تفأوتت فيه حدة الهجومات على المجتمع الصناعي، ومن هذه النزاعات برزت القضية الأساسية المتعلقة بلباس العصرية فالمشكلة الحقيقية أن الناس والمجتمع ككل لم يتحمسوا للإله، بل اتهم ابان الكثير من الاهتمام على المادة، وهاجموا مادية الحضارة الصناعية، واجمعت الجماهير والكادحة في البدء 1816 م حطمت طوائف عمليه تدعى (لوديت) الآلات الجديدة في انجلترا، لان التقنية تسببت في البطالة وتدني الاجور، وادانه المجتمع الصناعي قضيه عريقة تفترض فقدان الحرية والذاتية والانسان ليس عبد العمل ما أو لمنتجاته، وأكثر من ذلك فقد دمر ثقافه الامتتان لتذوب في ثقافة جماعية، لا تفاضل فيها ولا تميز¹."

ثانيا: مدينة الحلم

بحث جوزيف ريكورت، عن الشبه الفيزيولوجي للمدينة فوجد أنها تشبه الحلم، ذلك أن طبيعة الحلم تجعل الاشياء محل الاشياء، تنبو عن التعريف المحدد الدقيق، كما تجأوز حدودها تختلط في نفس الوقت وتنظم ذاتها، وفيها من الامور المطلقة والمتضادة كميًا، تتضاءل وتفقد كل دلالاتها، ويتوحد النظام بعد النظام والاستمرار بعدم الاستمرار والمحتوم بغير المحتوم ويصبح هذا التوحد أرضاءنا الاعظم.

ويضيف كريستوف ألكسندر في بحثه بعنوان "المدينة ليس شجره" ان المدينة هي دوما اختلاط وليس الامر على خلاف ذلك، فعندما نقول "مدينة" فان الفكر يذهب الى سكانها والمدن كما كان يقول شكسبير عن الناس، مصنوعة من المادة التي تضع منها الاحلام، ويتضمن الحلم، والمدينة لا نهاية علاقات في جميع الاتجاهات، وكلاهما يشبه الانسان.

¹ المرجع نفسه ص 234

" وكان سيجمون فرود (1856- 1939) م قد فاجأ عصرا غلبت عليه العقلانية، حيث لفت الانظار الى جذور غير عقلانية، وغير واعيه لسلوك الانسان"¹.

" وقد ظهرت موفقة الاندلس لدى :ادونيس والبياتي واحمد عبد المعطي الحجازي وسعدي يوسف من شعراء هذا البحث، ومن اللافت الانظار ان هؤلاء الأربعة كتبوا عن الاندلس من المنفى، وانهم كانوا تجربته المنفى الفعلية، وسنأخذ من قصائدهم ما تعامل مع الاندلس كحلم بالمكانة تاريخي فلا يهمننا ان تظهر اسبانيا المعاصرة في القصائد. فالمكانة تاريخ الحضارة العربية في الاندلس هي ما يضلع بتصوير الحلم الحضاري"².

" وتجد الإشارة الى ان المدينة هنا تفقد كينونتها العمرانية المحددة لتسبح فوق مفهوم الوطن لان مفهوم اعم متجذر في اعماق التاريخ. وان المدينة الحلم احدى المدن البدائل التي كان شعراء يلجؤون اليها فرعا من واقع المدينة الاجتماعي، والسياسي وقد كان مؤلما كما سبق وبقي بعد المدينة المستقبل ومدينة الحلم ان تكتمل المدن البدائل في المدينة الأسطورية."³

ثالثا: المدينة الاسطورية:

نبحث عن المدينة الأسطورية في المدينة الأسطورية في البيئة الشعرية التي ندرسها حيث تبين أنها تظهر في ثلاث صور هي: المدينة المسحورة، المدينة في الفن الشعبي واخيرا المدينة في الأسطورة التاريخية.

أ- المدينة المسحورة:

¹ مختار ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، الكويت، ابريل 1995 ص 253

² المرجع نفسه ص 255

³ المرجع نفسه ص 275

نعت المدينة بهذه الصفة منتزع من الشعر نفسه. فاذا كان المسحورة هو الخارج على المؤلف والواقع الذي الفه الانسان. فهو ما ستره كذلك في هذه المدينة، فضلا عن أن الشعراء استخدموا الصفة نفسها، من واقعه النفور والفرار من جحيم المدينة المعاصرة ولذا كانت مع الأنماط الرمزية الأخرى مدينة الرومانسية لأنها امر بديل المدينة الواقعية كما صورها البياتي في "مراثي لورى"

المدينة المسحورة

قامت على نهر الإنسان في أبوابها الألف ولا يموت

يحيطها صورة من الذهب

تحرسها من الرياح غابه الزيتون

هنا البياتي يقدم صورته خياليه يحتدم فيها: (خلق مدركات وهميه تلتقي فيها عناصر الوهم والخيال، ليس مما نراه من الواقع، والشاعر نفسه يحترف بذلك في بيت سابق "لم ارها ولم ازر بلادها البعيدة"¹)

"

ب- المدينة الأسطورية:

التحاما بالتراث، وتأثرا بالتقدم الذي انجزته الآداب العالمية، ولا سيما «داليتيه» في قصيدته الرائعة «الأرض الخراب»

انطلق شعراءنا المعاصرون الى الموروث الانسان من الاساطير، يبحثون في الماضي عن بديل جفاف الواقع.

¹المرجع نفسه ص 280

" كما أن للأسطورة جانباً له أهميته القصوى في الانتصار على الزمن ويتضح من افكار "يوني" ومعه "اللياد" في علاقته الزمن بالأسطورة ان الأسطورة خروج من التاريخ الذي تقع احداثه في خط متسلسل عوده فيه. الى الوقائع الأساسية بطريقه تكشف عن بنيتها العميقة"¹.

الانسان بطبعه يحتاج الى خلق اساطير، ليعطي معنى لوجوده ويقاوم حتميه التاريخ.

من خلالها ويتجاوزها، لذلك يحول المدن والاحداث والأشياء وحتى الاحلام، الى اساطير لها وظيفة مشتركة هي ايقاف عجله الزمن.

" و الفنان الكبير - كما يقول "اللياد" يعيد فتح العالم عما يحأول رؤيته كما لو لم يكن هناك زمن ولا تاريخ، وبهذا يكاد يشبه الانسان البدائي، ويرى "توماس مان" ان الأسطورة اساس الحياه وهيكلا وجود اللانسان، والصيغة المقدسة التي تتسب فيها الحياه ورأى اللاشعور، ويوم يكتسب الانسان عاده النظر الى الحياه بطريقه استوريه نموذجيه فان قدراته الفنية تتسع وتقوى ملكاته على التلقي والاحساس، فاذا كانت الأسطورة في تاريخ الإنسانية مرحله بدائية مبكره، فهي في حياه الفرد المبدع مرحله ناضجه ومتأخرة."²

المبحث الثالث: المدينة في عيون الرحالة العرب والغرب

- المدينة في عيون الرحالة العرب:

لم تظهر الكتابة عن الرحلة الا فيما بعد الهجرة النبوية والفتوحات الاسلامية وازدهار الحضارة العربية وثقافتها، حيث ظهرت كتابات عن الرحلات قام بها الرحالة عرب، حيث ظهر ادب الرحلات ليشكل أحد اهم التجليات الثقافية في ذلك العصر، وليجوب بعض الرحالة

¹ المرجع نفسه ص 296

² مختار ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، كويت، 1995 ص 296

العرب بلادا عربيه تجاوز بلادهم بل وصل بعضهم الى بلاد غير عربيه وبعيده كالصين والهند وبلاد ما وراء النهر وتركيا وغيرها.

وقد ادى الرحالة العرب مهمه ساميه الاجيال القادمة، "اذ اسهمت كتابتهم لأدب الرحلات في النقل الكثير من الصور الجميلة والمشاهد المميزة لتلك البلاد وطبيعتها الجغرافية، وظروفها المعيشية والقى الضوء على تاريخ هذه البلاد وافكار سكانها¹" عادات وتقاليد تختلف وقد تتفق مع عادات البلاد التي جاء منها هؤلاء الرحالة وقد اهتم العديد من العلماء والادباء وسلطوا الضوء على هذا الموضوع الذي بصفته واسع المجال ، واحتضاره منسي وثري يستحق الاطلاع عليه والاهتمام به لأنه اضفى للأدب بصفته نوعا وفنا لا يمكن تجاوزه. وهناك العديد من الادباء ارتحلوا من بلادهم لاكتشاف بلدان جديدة غريبة لياتوا بكل ما هو نافع للأدب بصفه عامه ولأدب الرحلة بصفه خاصه.

ومن هنا يمكن ذكر:

رحله ابن جبير:

" صاحب كتاب تذكره بالأخبار عن اتفاقات الاسفار، عرف برحله ابن جويبر وهو من الاندلس، اسمه محمد بن جبير احمد بن جبير الكافي، المعروف بابن جويبر وله بلنسية بإسبانيا 540 هـ 1145 وتعلم على يد ابيه وغيره من العلماء فيعصره ثم استخدمه امير غرناطة ابو سعيد بن عبد المؤمن ملك الموحدين فيه وظيفة كاتم السر فاستوطننا غرناطة.

com.¹ www. ta3limkom

قام برحله الحج دائما سنتين ودون مشاهداته وملاحظاته في يوميات حوالي سنة 582هـ / 1186، جمع عدد كبير من الرحلات الرحالة وحجاج عرب وأجانب¹.

فهو من الرحالة الذين تمتعوا بشهره عريضة واعتمد على مؤلفاتهم مؤلفون من بعدهم مهتما في كتاباتهم بوصف المدن بصوره دقيقه تتناول جميع مرافقها من مساجد واسواق وحتى الشوارع والمنازل والابواب وكذا الضواحي.

هو ابو الحسن محمد بن احمد، الاديب الشاعر الفقيه وأشهر رحاله القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي) صاحب (تذكرة الاخبار عن الاتفاقات والاسفار) والمشهور برحله ابن جبير والتي ضمنها اخبار حالته ثلاث للحج، وما شاهده عن احوال البلاد والعباد في المدن التي عبرها وحط الرحالة بها بطريقه سرديه محببه الى النفس، تتم عن حس قصصي متدفق حتى وان جافاه الوصف المتعمق للمشاعر والاحاسيس في أكثر مواطن للوصف.

والكتاب يكشف عن صدقه في التعبير وتصوير المشاهد وسعيه الى الغرائب والعجائب شأن من سبقه.

يصف ابن جبير مدينة دمشق وصفا لا يرقى الى مستوى ما في وصف المقدسي السابق للمدينة نفسها من حيث الإحاطة بالجزئيات ودقه الملاحظة فيقول: "دمشق جنه المشرق ومطلع حسنة المؤنث المشرق، وهي خاتمه بلاد الاسلام التي استقرين بها وعروس المدن التي اجتياحها، فقد شملت بأزاهير الريحان، متجلد في حلل سندسيه من البساتين وحلى في الموضوع بالمكان السكين، وتزينت في منبتها اجمل تزيين وتشرفت بأن أوى الله تعالى المسيح وامه صلى الله عليهما منها الى ربوه ذات قرار ومعين، وماء سلسبيل تتساب مذانبه انسياب الارقم بكل سبيل، ورياض يعي النفوس نسيمها العليل.

¹مرجع نفسه

ويص مدينة نصيبين - ابقاها الله - فيقول: " شهيره العتاقه والقدم، ظاهرها شباب وباطنها هرم، جميله المنظر متوسطه بين الكبر والصغر يمتد امامها وخلفها بسيط اخضر مد ، قد اجرى الله فيه مذنب من الماء تسقيه وتطرد في نواحيه، وتصف بها عن يمين بساتين ملتفت الاشجار، يافعه الثمار ينساب بين يديها نهر، قد انعطف عليها انعطاف السوار، والحدائق تنتظم ، ، وتضيء ظلالها الوارفة عليها، فرحم الله ابا النواس الحسن بن هاني حين يقول:

طابت نصيبين ليوما خطبت لها يا ليت خطي في الدنيا تضيين¹.

ابن حوقل:

يعد محمد بن حنن النصيبي، أول الموصلي، أو البغدادي، وذلك بحسب اختلاف الروايات في في تعيين مسقط رأسه واحدا من أشهر هؤلاء الجغرافيين الرحالة الذين أفرزتهم: وابن حوقل، وبهذا اشتهر، لا تعرف ولادته ولا وفاته على وجه اليقين، وان كان يظن أن وفاته كانت بعد سنة 361هـ ، وفي مدينتي نصيبين، ثم بغداد، تلقى علومه الأولى، ولقد اتضحت ميوله العلميه في سن مبكره منتجات النحو علم الجغرافيا، ذلك انه اطلع عددا من كتب الجغرافيين المسلمين، فشقق بها بعد حب ما عم بقى في نفسه فيما بعد حب الرحلة الجغرافيه وعلاؤه على ذلك اشتغاله بالتجاره ومزاولته لها، سببا في تزايد حب الترحل والتجول به ومن هنا، فقد قام برحلات طويله، استغرقت منه نحو 30 عاما، طاف خلالها معظم اقطار العالم الاسلامي انذاك.

بدا ابن حوقل رحلاته في سنة 331هـ ، حيث جاب أول قطره: العراق، ثم عرج على ايران، ومنها الى بلاد الهند، ثم عاد، فاتجه الى بلاد المغرب، وتحديدا الاحساء، ثم الى بلاد

¹ بورايوعبد الحفيظ، حمادي عبد الله، مدينة قسنطينه في ادب الرحلات، ماجيستر، جامعه منتوري، 2007/2008 قسنطينه

المغرب، وبلاد السودان الغربي، ثم الاندلس، ثم قام اخيرا بزياره الجزيره الصقليه ابانا وجود المسلمين بها حدود سنة 362هـ.

" وفي كتابه صوره الأرض، فنمل ابن حوقل مشاهدته وانطباعاته ومذكراته التي نجمت عن رحالته، وكتاب صوره الأرض جغرافي من المقام الأول وهذا هو الغرض من تأليفه، وهو بالتحديد يدخل ضمن دائره كتب المسالك والممالك"¹.

" وأيضا قد فصلت بلاد الاسلام اقليما اقليما، وصفها وصفا وكوره كوره لكل عمل، وبدأت بذكر ديار العرب فجعلتها اقليما واحدا لان الكعبه فيها ومكة ام القرى، وهي واسعه هذه الاقاليم عندي"².

" ولقد قدم ابو القاسم حوقل البغدادي وصفا عامه للعالم في عصره ضمنه أول وصف دقيقه لبلاد المغرب والاندلس والعصور الوسطى منبها بذلك الى أهمية المغرب ومكانته، وتغييره الماده التي قدمها على جانب كبير من الأهمية لأنها ملات فراغا كبيرا في المعلومات الجغرافيه عن المغرب خاصه وان ابن حوقل لم يكن رحاله دقيقه الملاحظه فحسب ولكن كان الى جانب ذلك عالما جغرافيا متمكنا"³.

الأصطخري:

" هو ابو القاسم ابراهيم محمد الكرني هو عالم مسلم، من رواد علماء البلدان أو الجغرافيين، نشأ في اصطخر ونسب اليها، والف كتاب صور الاقاليم، عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العشر ميلادي)، خرج سنة 1951م يطوف البلاد مبتدئا من بلاد العرب الى الهند ثم الى سواحل المحيط الاطلسي، في رحلته لقي نفرا من العلماء في الحقول

¹ يوسف بن احمد حواله، ابن حوقل ورحلته الجغرافيه للجناح الغربي هنا الدوله الاسلاميه دون طبعا، رسائل جغرافيه، الكويت، مارس 1996م ص 49

² ابي القاسم بنحوقل النصيبي، صوره الارض. دون طبعة، الدار مكتبه الحياه، بيروت، 1996م ص 16

³ بورايو عبد الحفيظ، حمادي عبد الله، مدينه قسنطينه في ادب الرحلات، ماجستير جامعه منطوري، 2008 / 2007 قسنطينه ص

المختلفة. لم تكن مصادر علم البلاد الذي عرف فيها بعد بعلم الجغرافيا موثوره في عصره. فكان بذلك أول جغرافي عربي صنف في هذا الباب، اما عن مشاهدته فعلية، واما نقلا عن كتاب بطليموس. وقد نقل مؤلفته الى عدة لغات وتم طبعها عدة مرات¹.

هو صاحب كتاب " المسالك والممالك " الذي اهتم فيه بدراسة المدينة العربية داخل اقاليم ووصفها وصفا دقيقا موقعها، ذكرا لاثارها، ولقد قسم الاضطخري اسلام الى 20 اقليما وافرد صورة لكل اقليم من هذه الاقاليم، ثم وضع صورته شامله سماها " صور الكل " أو صورة الأرض. كما لون المصورات الجغرافية. اما المدن فقد رسمها باللونين الاصفر والاحمر على اشكال مختلفة منها ما هو شكل أوراق اشجار ومنها ما هو على شكل مستطيل تعلوه دوائر صغيرة.

"أما المدن الرئيسية فقط رسمت بدائرتين الى ثلاث ولونت بالاصفر والاحمر"².

العبدري:

"وأبو عبد الله محمد بن علي بن احمد بن مسعود العبدري صاحب الرحلة، تكون ولادته حوالي سنة (643هـ / 1245م) . فالعبدري الحاحي ينتمي الى بلاد جنوب الاقصى، ومن المؤلفين من يقول الحاحي، ومنهم من يقول الحيجي. وينسب الى العبد الدار واسم العبدري مرتبط ببليسية من حيث اصل اسرته وبالصويره (على مقربه من مغاوره بمراكش من حيث مسكن هذه الاسره، ولعل ذلك كان في طفوله العبدار أو صباه³.

احد اشهر مشاهير الادباء اللغويين الرحالة من القرن التاسع عشر الهجري الثالث عشر (الرحلة العبدريه) أو المغربيه التي دون فيها تفاصيل مشاهداته في المغرب العربي ومدنه

¹ https : // ar. m wikidia . org.

² بورايوعبد الحفيظ، حمادي عبد الله، مدينة قسنطينه في ادب الرحلات، ماجيستر، جامعه منتوري، 2008 / 2007 قسنطينه

ص 30

³ ياسر قاسمي، الجوانب الفنيه والتوجيهات النقدية في المرحلة العبدريه، ماستر، جامعه محمد الصديق بن يحيى تاسوست، 2021-

2022 ، جيجل، ص 80

وطرقه وسبيل عيشه في اسلوب ادبي وصفي قوامه العبارة العذبة والالفاظ المختاره بدقه فائقه وحسن تصوير وصدق في النقل وان كنا نقف في بعض مشاهداته على احكام قاسيه يعزوها بعض النقاد والدارسين الى " شطف العيش في الريف الجبلي (بالصويره) من مراكش بعيدا من العمران حتى جفت طباعه وغلضت روحه.

" أضف الى ذلك انه كان رجلا متشائما، وهو الى هذا كله لا بد عانى الكثير وقاسم من الناس والظروف ما لا قبل له به، وما لا يقدر عليه. ثم يقول في وصف تونس مبرزا تفوقها على غير ها من المدن بحسنة الخلاب ومعامرها الجذاب " وتونس حرسها الله ذات ابنيه كبار حسن ذات الابواب الجميله المصنوعه من الرخام..... للمدينة عدة ابواب يمكن الدخول منها، وخارج كان منها بنايه جميله تكاد تكون في اتساع المدينة نفسها..... ولو ان تونس سيتاح لها نهر يروي عطشها لقاته جميع الحواضر الاسلاميه... ولكن من سوء الحظ فمأوها ندر يسير ، والناس يشربون ماء الامطار الذي يخزنونه في الابار... والماء الذي تحمله قناه زغوان الى المدينة انما يحمل الى قصر السلطان وحدائقه، وثمه كمية ضئيلة يسمح لها بالوصول الى جامع الزيتونه، ومن هذه يسقي الغرباء أولئك الذين ليس في بيوتهم ابار..... وجامع الزيتونه يعتبر من اجمل الابنيه الحجريه يتوسطه صحن واسع تزور به أورقه معمه وتونس مدينة كبيره الأهمية اذ هي عاصمه افريقيا اي ما يسمى اليوم القطر التونسي..... ولم ارى في المشرق ولا في المغربي قوما كاهلها في دماثة الخلق ورقه الطبع، وفي اهلها من بلغ في العلم."¹

¹ بوراي وعبد الحفيظ، حمادي عبد الله، مدينه قسنطينه في ادب الرحلات، ماجستير، جامعه منتوري، 2007 / 2008 قسنطينه

المدينة في عيون الرحالة الغرب: "لقد أضحى الرحالة الغربيين تدوين رحلاتهم الفكرية والمعرفية مما جعل ادب الرحله غني وافرا واصلا سخيا فهو كنز فياض لا يزال في حاجه الى سير اغواره التي لم تغض بعد¹" وذكر من هؤلاء الرحالة ما يلي:

رحله بيسرنج: GUY LE STRANGE

ولد في هنستن بانجلترا سنة 1854 وتوفي في كامبرج في 24 كانون الأول 1933، عن عمري ناهز 80 سنة

أمضى ليسرنج وقتا طويلا من عمره خارج بلاده، فعاش في باريس مع امه وهناك اتصل بالمستشرق موهل Julis Mohl نشر الهنامه و مترجمها الى الفرنسيه. فشوقه الى درس اللغتين الفارسيه والعربيه. وحضر في باريس دروس المستشرق ستانسلاس كوبال Stanisles guyard في اللغه العربيه فحفظته هذه الدراسات على زياره بلاد فارس وهو في عنفوان شبابه فمكث فيها ثلاث سنوات، "توفر في اثنائها على الوقوف على تاريخ هذه البلاد واحوالها ولغتها²."

" لقد وصف لسنج مدينة البصره بالعراق ووسط نحو سنة 14 هـ ، كما قال أنها كانت على جانبي دجله وبينهما جسر السفن، لها جامعان، في كل جانب جامع. وذكر اليعقوبي ان الجانب الشرقي واسط كان مدينة قبل زمان الحجاج، وعلى سكان هذا الجانب، حتى 103 وبنى الحجاج في المدينة الغربيه القصر الاخضر، يقال أيضا أنها قبه خضراء وهو المشهور بقبته العظيمه، فقد كانت ترى من اعلامها الصلح وكانت أرض واسط وفيه الخصب وبقيت واسط طوال عصور الخلافه من اشهر مدن العراق، أولا من شابه الخراب منها، "وذكر الدجله كانت اسفل من واسط اذا فصل عنها وانقسم جانبي دجله وأيضا كان واصفا لمدينة البصره للعراق بحيث قال أنها اشتقت اسمها من

¹بوقريط طيب، فن الرحله، الطبعة الاولى، الدار البيضاء للنشر والتوزيع، عمان، 2017 ص 12

²كي ليسرنج ، بلدان الخلافه الشرقيه، مطبعة الرابطه، بغداد، 1373 هـ ، 1954 م ص 6

الحجاره، وانشأت في أيام عمر في سنة 17 هـ، واقطع سوادها القبائل العربيه التي نزلت فيها بعد تفويض الدوله السيانية ، وسرعان ما تسعه هذه المدينة فاذا هي و الكوفه تصيحان من عواصم العراق الجديده، وقد جرت قرب البصره وقعت الجمل المشهوره حيث تبعد البصره 12 ميلا في خط مستقيم¹.

وانشق اليها من دجله نهران نهر معقل من الشمال الشرقي تاتيه السفن النازله من بغداد، ونهر الابله تسير فيه السفن من البصره نحو الجنوب الشرقي فتخرج الى خليجي فارس عند عاليان كما قال أنها عانت كثيرا من الحروب والفتن المذكوره في تاريخ الدوله العباسيه ذكر من بين حروبها اشدها الزنج، نجد أيضا انه تطرا في وصفه الى مدينة السامراء التي اتخذها سبعة خلفاء بني العباس عاصمه لهم مدى نصف قرن اي من سنة 221 الى 279 (146-192) معروفه قبل الفتح العربي ثم بقيت بعد ان تهأوت من ذروه عزها الذي لم يدم كثيرا مدينة ذات شان ردحا طويلا من الزمن- قامت المدينة نفسها على غرفه دجله الشرقيه فامتدت قصورها سبعة فراسخ بمحاذاه النهر وقام في الجانب الغربي.

" بحيث انفق الخلفاء واموالا طائله لا يكاد العقل يصفها، على انشائي ميادين جديده للصيد واللعب، كان الخليفه بنى أول مسجد جامع قرب ضيفه دجله الشرقيه كانت تحوي داخلها على مجموعه من الدروب واسواق وانشا فيها بيت المال الجديد ودوأوين الدوله ودار العامه التي يجلس فيها الخليفه - انشا بساتين والاجنه وحمل النخله قال اليعقوبي: " ان سامراء صحراء من أرض الطير هان " وأيضا قال المقدس: " بها جامع كبير يختار على جامع دمشق قد لبست وجعلت فيه اساطير الرخام وفرش به، وله مناره طويله " وقال

¹المرجع نفسه ص 59 الى 65

ياقوت: أنها منارة الجامع الأول الذي بناه المحتصم فقد: " امر برفع مناره لتعلو اصوات المؤذنين فيها، فكانت هذه المنارة تشاهد عن مسافة فرنج من كل جهة"¹.

رحله **جون لويس بوركهارت (1817- 1784)** : ولد بمدينة لوزان بفرنسا، الى ان اباه اسرع على مغادره بلاده بعد ان فقد ثقته في حكامها الجدد الذين اتهموه بالخيانة، ولما لاقته اسرته من ظلم وعنت، وماله اليه حالتهم الاقتصادية من تدهور بعد حياه العز والرفاهيه، ويرحل الشاب **بوركهارت** الى انجلترا وهو يناهز 25 من عمره القصير باحثا عن عمل، اذ رأى ابوه انه من الحكمة عدم البقاء في بلاده حتى لا يقع مره ثانيه في ايدي الحكام الجدد الذين باتت نياتهم للقضاء عليه على الرغم من ظهور براءته مما نسب اليه.

" تعلم **جون لويس بوركهارت** على يد معلم خاص ثم التحق بجامعة **ليبزج** ، وظل بها اربع سنوات، وكان قد بلغ ال 20 من عمره، ثم انتقل الى جامعه **جوتنجن** . عرف بالاستقامه والاحترام والجراه في ابداء رايه، كما عرف بطموحه العلمي وجدة واجتهاده في التحصيل والمعرفه².

لقد مضى ثمان سنوات من عمره قصير في رحلته الأولى الى بلاد **التوبه** التي صادف خلالها صعوبات جمه . ذلك ان قاره افريقيا في هذا الوقت (بدايه القرن 19) كانت لم تزل مجهوله للأوروبيين، حيث ان ظروفها طبيعیه كان انتشار الغابات الكثيفه، وتظاهر الصحاري في معظم سواحلها وانتشار الجنادل على امتداد نهر النيل مما يعوق الملاحة فيه كان من اهم العوامل التي اخرت اكتشافها.

"وعلى الرغم ان العرب قد عرفوا الطريق الى القاره الام بغيت عن طريق القوافل التجاريه التي كانت تسلك السواحل الغربيه للقاره ويسعدون في حوض النيل الى قلبها الا ان نتائج هذه الرحله لم تكن معروفه أيضا عند الأوروبيين حتى يستفيدوا منها، لهذا نجد

¹كي ليسرنج ، بلدان الخلافة الشرقيه، ط4، بغداد، 1954 ص 79

²جون لويس بوركهارت ، رحلات بوكهارت في بلاد النوبه و السودان ، مجلس الاعلى للثقافه، القاهره، 2007. ص 6

ان بوركهارت تحمل مصاعب جمه وهو يجتاز القرى النوبيه من شمالها الى جنوبها ،
مخترقا الجبال والوديان في وقت لم تكن وسائل النقل الحديثه قد عرفت، مما فره الى
الاستعانه بالنوق المعروفه بسفينه الصحراء وتحملها الجرعه والعطش تحت درجه الحراره
العالية".¹

"ولقد حقق بوركهارت بعض الاهداف من رحلته الى بلاد التوبه، فعرف طبيعه المنطقه....
" جباله وديانه ومناخها ونباتاتها وطرقها ومواسم حصادها وحيواناتها وأيضا مناطق التعدين
بها، كما عرف عادات اهلها وتقاليدهم واصولهم واسلافهم، وكذا معابدها الكثيره المنتشره في
انحاءها، ابتداء من معبد ابي سنبل ومرورا بمعبد السبوع كلابشه والدكه وقورته
وقرشه مرورا ببلدانه".²

لم تكن التوبه هدفه ولا جزيره العرب وجهته، ولكن شاءت الاقدار ان يرتبط اسمه كتب عن
هذه الانظار، بحيث ارسلوه ليكشف عن سر النيجر، فاذا هو يدقق على ضفاف النيل بعد
ان يطوف اراضي الوطن العربي ثمانيه اعوام طوال.

"لقد ادرك جون لويس بوركهارت منذ البدايه ان الرحله الجغرافيه لابد لها من ادوات....
أنها ليست سياحيه للمتعه وجمع النوادر، بل هي دراسه عميقه تحتاج الى
امتداد طويل، وتتطلب خيرات متعددة.

ولكن هذه السنوات الطويله لم تذهب عبثا، فقد وهب الشاب قوه الملاحظه على سير اعماق
الامور، فامتازت كتابته مما شهد في هذه السنوات بالدقه، وكان لها رونق وفيها عذوبه ومع
انه لم يزر أرضا جديده مجهولا لم يطرقها احد من قبل، فان مذكراته عن رحلاته لم تخل

¹المرجع نفسه، ص 7

²المرجع السابق ص 07

من الطرفه، وحسب بركهارت انه كان من الرحال القلائل في عصره، الذين قاموا برحلاتهم خدمه للعلم¹."

رحله ريتشارد بيرتون:

قدم بيرتون الى المدينة المنوره في الخامس والعشرين من شهر يوليو 1853م وغادرها الى مكة المكرمه في الحادي والثلاثين من اغسطس من السنة نفسها، فيكون بذلك قد قضى قرابه ثمانية و ثلاثين عاما ، فيا ترى هل هناك مستجد في المدينة خلال هذه الفتره؟ وهل حدث فيها تغيير يذكر ام لا؟ وهذا ما سنلقي عليه الضوء....

أولا: تقسيم المدينة:

كانت المدينة كما راها بيرتن من ثلاثة اجزاء رئيسية، هي:

1- المدينة ذاتها

2- القلعة

3- فلاحيه مساحتها أصغر بقليل من إجمالي مساحة الأجزاء الثلاثة

والمدينة ذاتها اكبر من السويس بحوالي الثلث، أو نصف مساحه مكة المكرمه تقريبا اما القلعه: فتقع في الزاويه الشماليه الغربيه للمدينة، ويعسكر فيها قرابة أربعامئة رجل من حبه المنشاه تشكل حاميه الحصن.

اما الضواحي: فتقع الى جنوب والغرب من المدينة.

فمن الناحية الجنوبية، أما من ناحية الغربية فيفصل سهل المناخه المدنيه عن الفلاحيه بطول ثلاثة ارباع تقريبا، ويعرض يقرب من ثلاثمئة ياردة.

¹المرجع السابق ص 11

هذه الضواحي تشغل مساحة من الأرض أكثر من تلك المساحة التي تشغلها المدينة ذاتها.

وللمدينة أربع بوابات هي:

1- باب الشامي: ويقع في الجانب الشمالي الغربي للسور، ويفضي الى جبل احد ، وقبر حمزه رضي الله عنه¹.

2-باب الجمعة: ويقع في السور الشرقي، ويفضي الى درب النجدي ومقبرة البقيع.

3-باب الضيافة: ويقع بين البابين الشامي والجمعه اتجاه الشمال.

4-الباب المصري: ويقع في الغرب، ويفضي الى السهل يسمى (بر المناخه) قد شبه على البابين الشرقي والمصري مبنيان ضخمان جميلة لكل منهما برجان متقاربان يقيم فيهما المعسكر.

ثانيا: مساكن المدينة:

تحدث بيرتن عن المساكن الخاصة والمباني العامة، في المساكن التي تخص الفقراء في كل مكان متشابهه بشكل عام.

" واما المساكن الطبقة العليا فهي متأثره بالفخامه التركييه والمصريه ومساكن الطبقة الوسطى مزيج من الفخامه والبساطه، بحيث وصف المنازل من الناحيه الشرقيه على أنها حسنة البناء تتالف من طابقين ومودها المنعزمه عاديه، وافضلها تلك التي تحيط بها باحات وحدائق وقال اما المباني العامه فهي قليله في المدينة، وتوجد بها اربع وكالات رئيسية منها (باب السلام) غرب الحرم النبوي، ووكاله الجبر داخل الباب المصري، اما المباني الأخرى فهي عباره عن مقاه قليله بأئسة"².

¹د. حمزه قاسم، المدينة المنوره، مجلة مركز البحوث والدراسات. 29 . 2009، العربية السعوديه ص 153/152

²حمزه قاسم، المدينة المنوره، مجلس مركز البحوث والدراسات 29 ، 2009، المملكه العربية السعوديه، ص 154

ثالثا: سور المدينة:

" كان السور في زمن برتن بحاله ممتازه، ويتخذ شكلا بيضويا غير منتظم، وقد بني من الجرانيت والكتل الصخريه البركانيه التي صف بعضها فوق بعض باحكام ، وثبتت بالجبس، كما زود بفتوحات طويله والشراريف... وهي فتوحات تتخذ الواحده منها شكل ثلاثه أوراق الشجر لاستخدامها في اطلاق النار، وابراج نصف دائريه قد زودت أيضا بفتوحات طويله، وكوات منظمة"¹.

رابعا: طرق المدينة:

" يذكر أن طرق داخل المدينة كانت سيئه ويصفها بقوله: " وفي الداخل نجد الشوارع- كما هو متوقع في هذه البلاد الحاره- مظلمه وضيقه، وليست مرصوفه الا في مواضع قليله . وهو امر يحث على الاستتكار- وهي مغطاه بشكل عام باطربه سوداء قد رشت بالماء جيدا أو دكت بعنايه لتكون صلبة، وافضل الطرقات واكثرها تلالؤا هي التي تؤدي الى المسجد النبوي"².

ويوجد في المدينة ما بين 50 الى 60 شارعا بما فيها الممرات الضيقة، ولم يذكر لنا اسماء الطرقات في المدينة سوى طريقتين: **طريق العنبريه والجسر** عباره عن حجارة مقطعه غير مصقولة مقنطره قليلا.

خامسا: أحياء المدينة:

ذكر بيرتن ان المدينة ما بين 50 الى 60 حيا، ولكنه لم يذكر لنا ايا من هذه الاحياء ولا حتى مواقعها.

¹المرجع نفسه ص 155²المرجع نفسه ص 156

ولكنها وصف شكل احياء وضواحي المدينة، وبين أنها عبارة عن تجمعات من القوى المصوره تتخللها المزارع والبساتين.

سادسا: معالم المدينة:

أشار الى عدد من المعالم التي راها خلال زيارته المدينة، وهي تتمثل في التالي:

- أ- بقايا السبيل ضخم قديم للماء، ويقع في الشمال من المدينة المنورة.
- ب- حسن مرتفع يقع في الزاوية الشماليه الغربيه لسور المدينة.
- ج- حقول من جفاء خبث البازلت الاسود للاسفل البركاني، وتقع في الجهه الشرقيه الى الجنوب.
- د- حمام رائع للعموم، يقع في حرزوان داخل المدينة، فيها شيء من الفخامه والترف التي كانت موجوده في منشآت اسطنبول¹.

النظرة العامة لبيرتن عن الناحية العمرانية في المدينة:

" كانت المدينة في أيام بارتن مسرحا للصراع بين قوات الدوله السعوديه وقوات محمد علي حاكم مصر، اما اثر على نهضه المدينة العمرانية، حيث يرى بيرتن ان دخول القوات السلفيه الى المدينة كان احد اسباب تخلف النهضه العمرانيه في المدينة، بحيث استهم فيه العرب عموما بقله خبره، وبساطه الذوق، يقول في ذلك: "(لا بد من التنويه هنا الى ان العرب ليس لديهم الا فكره بسيطه عن الفخامه والأبهة في مجال العماره)"².

دور الرحالة في التعريف بالمدينة:

¹ حمزه قاسم، المدينة المنوره، مجلس مركز البحوث والدراسات 29 ، 2009، المملكة العربيه السعوديه، ص 157

² المرجع نفسه ص 158

الرحلة في معناها السير والسفر، والانتقال من مكان الى اخر، وقد شهد مفهوم الرحلة تطوراً وازدهار في مجال تسجيل الاحداث المشاهده من طرف الرحالة.

" أما فيما يخص الرحالة فقادي ارتحلوا من أوطانهم قصد الاطلاعي وحب المعرفة، كالرحالة ابن بطوطة الذي يلقب بشيخ الرحاني بلا منازع"¹.

لقد كان الرحالة سواء العربيين أو الغربيين دور وحضور في ادب الرحلة عامه وتعريفهم بالمدينة خاصة، مما أعطى الأدب رونقا فنيا خاصا، لما شاهدوه من أوطان بهدف كشف المجهول والمتعة وأيضا تحصيل المعرفة لاثراء الادب، لقد كانت لهم منفعة وفائده خاصة ويتمثل ذلك لسفرهم لبلدان غير مالوفه ومنفعه عامه لكل متصفح للكتب ومهتم للأدب وتاريخه الواسع.

حيث جعلونا نتعرف على الأوطان وأعراقهم وعاداتهم وثقافتهم ولهجاتهم وكل ما يخص الرحلة، جعلونا نعيشها من خلال دقه وصفهم، وبساطه أسلوبهم كأننا نساfer من بلد للمعرفة، وانما نجد كل ذلك بين طيات كتبهم، بتحصيلهم للأحداث وتوضيح لكل اشكالية قد تواجه المتلقي.

كان فضلهم واسع شمل جميع المجالات وأحاط بجميع النواحي لايصال الفكره وجعل كل من يرغب في السفر يتشوق لذلك.

كانوا مصدر الهام وتحفيز لكل متردد، امد لنا صوره جميلة واقعية، بغض النظر عن الظروف والسعة الذين واجهوها خضم ذلك.

كان للرحاله دور مهم لا يمكن انكاره أو تخطيه في تصوير لنا بلدان بصفة عامة والمدن التي أحاطوا رحالهم فيها ليصفوا لنا كل ما جال ابصارهم وخطر في اذهانهم، وما يختلج مشاعرهم بغض النظر عن حنينهم لوطن الأم.

¹<https://dspace.univ.eloued.d3 - handle>

لقد كان التفاعل موجود هو التأثير والتأثير بمرجعية واقعية، كان دورهم فعال لأنه كان حقيقي يقتدر وصف الدقيق والملاحظة وبواسطة لغتهم.

" كان تعريفهم بالمدينة تجربة ابداعية لأنهم لأمسوا كل ما هو جديد وغير مألوف لذا يعد تفاعل الامكنة في مستواها المتخيل مكونا أساسيا من مكونات الممارسة النصية ومعطياتها الجمالية ومالها من امتدادات دلالية، اذ يقتضي استنكاره هذا التفاعل في سياق توظيفه النص مراعاة التدخل بين بعديه الواقع والمتخيل في دلالة على حركيته، وبخاصة اذ ما تعلق الأمر بنوع خاص من الكتابة ممثلة في أدب الرحلة التي تعد في تعريف من تعاريفها ضربا من السيرة الذاتية في مواجهة الظروف وأوضاع، في اكتشاف معالم واقطار وصفها، والحكم عليها وعلى المجتمع فيها حكاما ومواطنين فهو في النهاية كل ما انطبع من ذلك وسواه في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته.¹"

نالت المدن اهتماما واسعا لدى الرحالة العرب و الغرب في وصفهم للمدن وصفوها و دونوا عن جوانبها الجغرافية لكل مدينة و موقع فيها و مناخها و سكانها ، و مواردها المائية.

¹ناصر بركه، جماليه التوظيف المكان في ادب الرحله في مدينه الضباب ومدن اخرى، جامعه المسيله، ص 416

الفصل الثاني

المدينة في الرحلة العجازية

الفصل الثاني: المدينة في الرحلة الحجازية

المبحث الأول: الحجاز وأهميته في تثبيت الاسلام

الحجاز هو المركز الروحي للمسلمين ففيه مكة الكعبة المشرفة التي أرسى قواعدها ابراهيم عليه السلام وفيه ولد الرسول صلى الله عليه وسلم والى المدينة هاجر وفيه توفي والى الحجاز يتوجه المسلمون كل عام لاداء مناسك الحج والعمرة

كان لها دور وأهمية غنية عن التعريف في تثبيت الاسلام وكل ما يخص الامه الاسلاميه

أهمية الحجاز:

للحجاز مكانه متميزه في تاريخ الاسلام ودولته فظهر الاسلام في مكة المكرمة وقوي في المدينة المنورة وقامت الدولة الاسلامية الجديدة فيها.

وعاش النبي حياته وقضى 50 سنة من عمره في مكة حيث نزل عليه الوحي وبدا الدعوه لدين الاسلام ثم هاجر الى المدينة التي اصبحت دوله الاسلام ومركز المسلمين ومنها شان الدوله تتوسع حتى شامله الحجاز على معظم جزيرة العرب.

"ويكفي أهمية الحجاز وتفضيله على المناطق الأخرى وقوع مكة والمدينة لان المسلمين يتوجهون الى الحجاز لاجل الكعبة والمسجد النبوي من كافه انحاء العالم يوميا وشهريا وسنوياً¹ فهي تضم قيم الرسول صلى الله عليه وسلم والمعالم المتصله بالاسلام الا ان السلطان الفعلي لدوله الاسلام لم يخرج عن الحجاز الا بعد فتح مكة اي في السنوات الثلاثه الاخيره من حياته وحتى في هذه الفترة توسعت الدولة الاسلامية حتى شملت الجزيرة فان العماد الأول للاسلام كان مرتكز على استجابة الذين أسلموا مبكرا فكانوا أكثر الناس تشيع لمبادئه وروحه .

¹كيفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

" وكان منهم الجيش الذي يحتمد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحفاظ على الدولة الاسلامية وتوسعها وقد ظل أهل الحجاز حتى الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يرد أحد من أهل المدينة ومكة كما أن معظم القبائل الحجازية ظلت حتى الاسلام"¹.

ولا شك أن موقف أهل الحجاز هذا كان من الدوافع التي عملت الخليفة الأول أبو بكر الصديق على الاحتمال على الحجازيين في القضاء على حركات الردة واعادة سيطرة الاسلام على الجزيرة وتثبيت سلطانه عليها ولا بد أن الايمان العميق لأهل الحجاز والعامل الرئيسي في عدم ارتدادهم وفي مساهمتهم في القضاء على حركات الردة.

ولما خرجت الجيوش الاسلامية لفتح الأقاليم المجاورة للجزيرة بعد اتمام السيطرة على الجزيرة ظل أهل الحجاز العماد الأول للجيش لأن أبا بكر رفض اشتراك المرتدين في جيوش الفتح وقصر اعتماده على القبائل العربية التي كانت تقاوم الفرس والروم ثم انضمت الى الاسلام وأصبحت من الحركات الاسلامية

"ولا ريب في أن الذين ساهموا في الأيام ومقاتلة الفرس والروم كانوا يخدمون أهداف الدولة في تثبيت دعائم الاسلام ونشر سلطانه ولكن نظرا لاسلامهم الحديث وقلة اتصالهم بالرسول والصحابة في المدينة فان تشيعهم بروح الاسلام ومبادئه كان يتطلب وقتا غير قصير

ان الجيوش الاسلامية التي خرجت من الجزيرة بزمن أبي بكر للفتح والتوسيع دولة الاسلام كان محل روادها من أهل الحجاز ومن أهل مكة بالذات بما فيهم من أسلم بعد الحديبية ومن أسلم بعد فتح مكة"².

ونجد الكثير من الشعراء ذكروا الحجاز في قصائدهم من بينهم قول الاعراب لقوله

تَسْرَى الْبَرْقِ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ فَشَاقِنِي وَكُلَّ حِجَازٍ لَهُ الْبَرْقُ شَائِقٌ

وقول الاخر:

كَفَى حُرْنَا أَنِّي بِبَعْدَادٍ نَازِلٌ وَقَلْبِي بِاعْنَافِ الْحِجَازِ رَهِيئَةٌ

¹ صالح احمد العلي، الحجاز في صدر الاسلام، طبعة 01، مؤسسه الرساله، بيروت، 141هـ، 199م، صفحه 07

² صالح احمد العلي، الحجاز في صدر الاسلام، طبعة 01، مؤسسه الرساله، بيروت، 141هـ، 199م، صفحه 08

إِذَا عَنَّ ذِكْرَ الْحِجَازِ اسْتَفْزَنِي إِلَى مَنْ بَاعَنَافَ الْحِجَازِ حُنَيْنٌ

"وقد كان الحجاز في بعض العصور الاسلامية يعني مناطق ادارية موحدة تختلف سعتها تبعا للظروف السياسية وقد ظلت الحجاز تحت حكم الحكومات الاسلامية منذ العهد النبوي والخلفاء الراشدين مرورا بالاميين والعباسيين ومن ثم الفاطميون العابديون ومن ثم بعضهم الأبوين والمماليك والعثمانيين¹"

مدن الحجاز:

مكة المكرمة:

حين أشهر مدن الحجاز بها بين الله والمسجد الحرام وتقع في واد ضيق عميق يتجه شمالا مع ميل قليل الى الشرق وتلال المحيطه به ترفع الى مئاتنا الاقدام وتحيط بالوادي احاطه عاملة أغلب السكان والأمراء عن بناء سور لحمايتها وقد شددت عدة ضواحي شمالي مكة.

حدود مكة المكرمة:

" إن مكة المكرمة تقع في جنوب الحجاز على بعد 460 كلم من المدينة المنورة و 73 كلم شرق جدة 98 كلم غرب الطائف وترتفع مكة عن سطح البحر حوالي 330 متر ويحدها الشرق نجد ومن الغرب جدة ومن الشمال المدينة المنورة ومن الجنوب عسير اليمن²."

الموقع الفلكي:

" تقع منطقة مكة المكرمة بين دائرتي 19 درجة 24 درجة شمالا وخطيته 39 درجة و 44 درجة شرقا بصفه عامه مع بعض التداخل مع المناطق الأخرى اذا أن التقسيم الاداري لا يلتزم الحدود الفلكية³."

¹ <https://islamstory.com>

² كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان، صفحه 90

³ امينه بنت عطا الله بن عبد ربه الرحيلي، خصائص المناخ في منطقه مكة المكرمة الاداريه، ماجستير، جامعته ام القرى، 1426-2005م، المملكه العربيه السعوديه، صفحه 13

مناخها:

"يسود مكة المناخ الصحراوي مثل أغلب مدن شبه الجزيرة العربية ونظرا لوجود مكة بالمنطقة المدارية وبعدها النسبي عن ساحل البحر الأحمر فهي تتميز بمناخ جاف نسبيا ويسع درجة حرارتها الكثيرة في فصل الصيف فتصل في شهر يونيو الى ما يقارب 47 درجة مئوية أما في فصل الشتاء فتختلف مكة عن باقي مدن الجزيرة العربية فهي تمتاز بمناخ دافئ وتتراوح درجة الحرارة بين 25 درجة مئوية نهارا 17 درجة مئوية¹."

أهمية مكة المكرمة:

" تعددت أسماء مكة المكرمة وقد زادت أسمائها عن 30 اسما تعبر عن أوصاف وأحوال مختلفة وقد ورد بعض هذه الأسماء في القرآن الكريم ومن أهمها مكة أم القرى البلد الأمين وقد شرحت هذه الأسماء عن المفسرين فاصطح على ان التسميه مكة تعني التي تدك الجبارين اي تدكهم وتحطمهم أو أنها سميت بذلك الازدحام الناس فيها كما شرحت تسميه بكة بشروع شبيهه بمعنى التهشيم والقهر وان التسميه ام القرى تشير الى الزعامه والقياده والقداسه فهي اعظم كل القرى اما صفه البلد الامين فتشير الى ان من دخلها كان امنا وان اهلها امنون على مدى التاريخ وقد اخذت هذه المعاني المختلفه لاسماء مكة من المعجم العربي باعتبار ان اسماء مكة مختلفه اسماء عربيه وبخاصه مكة وبكة وبقيه الاسماء هي صفات أو القاب لمكة المكرمة²"

وأسماء مكة ذكرت في القرآن الكريم:

" أم القرى ذكرت في القرآن الكريم لقوله تعالى: " فلتنذر أم القرى ومن حولها"³

"البلد الأمين لقوله تعالى: " والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين"⁴

¹ <https://mecca10.weebly.com>

² <https://www.alharamain.gov.so>

³ سورة الانعام الاية 92

⁴ سورة التين الاية 03

البلد ولد هذه التسمية في القرآن الكريم "ربي اجعل هذا البلد أمنا واجنبني وبنيه أن نعبد
الاصنام " 1

البيت العتيق بقوله تعالى: "وليطوفوا بالبيت العتيق " 2

البيت الحرام وذكرت في القرآن الكريم لقوله تعالى: " جعل الله الكعبة البيت الحرام قيأما
للناس " 3.

الكعبة المشرفة:

الكعبة المشرفة هي هذا البناء الشامخ الجليل الذي يقع في قلب الحرم الملكي الشريف وهي
قبله المسلمين ومحط انظارهم وأول بيت وضع في الأرض لعباده الله وحده لا شريك له كما
قال تعالى:

"ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى".

وقد كان وادي ابراهيم الذي فيه الكعبة المشرفة لا زرع فيه ولا ماء فأمر الله عز وجل ابراهيم
عليه السلام ان يسكن فيه ذريته كما ورد في صحيح البخاري من حديث طويل جاء
فيه الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعون فأمتثل أمر ربه واسكن فيه زوجه
هاجر وطفلها اسماعيل عليهم السلام ودعى الله عز وجل قائلا ربي اجعل هذا بلدا أمنا
وارزق اهله من الثمرات.

"فاستجاب الله دعائه وفجر لذريته عين زمزم وهيا لهم اسباب المعيشه فاهل الوادي بالناس
وارشد الله ابراهيم عليه السلام الى مكان الكعبة المشرفة وأمره ببنائها فبناها ودعا مره اخرى

¹سورة إبراهيم الاية 35

²سورة الحج الاية 29

³سورة المائدة الاية 97

فقال ربي اجعل هذا البلد أمنا ثم دعاه في الثالثه بقوله: " فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم لعلمهم يشكرون " ¹.

" فالكعبة أو بيت الله أو البيت العتيق بناء مربعا تقريبا بني في أوسع نقطه من الوادي والان يحيط بها مسجد والمسجد من حيث السعه والبناء والجمال والفن المعماري لا يفوق غيره من المساجد الأخرى الموجوده في الشرق ولكن الاحترام والتقدير انما هو للكعبه ببلوغ ارتفاع الكعبه 15 مترا وطول جدارها الشمالي 9.92 مترا والجنوب 10.25 مترا والغرب 12.25 مترا الشرقي 11.88 مترا وفي الجدار الشرقي بابها ويرتفع عن الأرض مقدارا مترين وعتبته مصفحه بصفائح الفضة الا ان صفائحها الفضية مطليه بالذهب ²، وتغسل الكعبه من الداخل مرتين في السنة في رجب وذي الحجة ويقوم بهذا العمل الشيخ الشيباني الكعبة ويدعو لحضور هذا العمل الذي يعد من من حفلات مكة الهامة حكام البلد وأعيانها وبعض البارزين من الحجاج ويزدحم الناس حول الكعبة في ذلك اليوم ازدحاما يدل على ذلك الأثر الديني العميق في النفوس على أن هنالك بعض الاشياء تحدث من العامه وغير الواقفين العقيدة الاسلاميه الصحيحه من شرب ماء الغسيل والاعتسال به ولكن الجهل اخذ كل شيء وقد حضرت هذا الاحتفال مرارا اثناء اقامه بالحجاز ³.

كسوة الكعبة المشرفة:

" هي قطعة من الحرير الاسود المنقوش عليه آيات من القران من ماء الذهب تكتسي بها الكعبة ويتم تغييرها مرو في السنو وذلك خلال موسم الحج صبيحو يوم عرفو في التاسع من ذي الحجو وبرع فيها أكبر فناني العالم الاسلامي حيث أنه يعتبرها شرفا عظيما في العالم الاسلامي من بعده فقد ثبت أنه بعد فتح مكة في العام التاسع الهجري كسر الرسول عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع الكعبة بثياب اليمانية وكانت نفقاتها من بيت مال المسلمين

¹ <https://www.alharamain.gov.so>

² حافظ وهبه، جزيره العرب في القرن العشرين، طبعه ثانيه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1365-1946م، صفحه 23

³ حافظ وهبه، جزيره العرب في القرن العشرين، طبعه ثانيه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1365-1946م، صفحه 27

وذلك أنه عند فتح مكة أبقى النبي صلى الله عليه وسلم كسوة الكعبة وذلك أنه عند فتح مكة أبقى النبي عليه الصلاة والسلام كسوة الكعبة القديمة التي كسيت بها قبل الفتح ولم يستبدلها حتى احترقت الكسوة على يد أمرأه تريد لتبخيرها فكساها النبي محمد بالثياب اليمانية ثم الخلفاء الراشدين من بعده أبو بكر وعمر بالقيباطي والبارود اليمانية بن عفان بكسوتين أحدهما فوق الأخرى فكان هذا العمل الأول من نوعه في الاسلام أما عن علي فلم تلد روايات أو اشارات مؤخرين انه كسى الكعبة نظرا لانشغاله بالفتن التي حدثت في عهده ثم وصل من بعده ملوك الاسلام والسلاطين الكعبة بكسائه¹.

وقال أسعد ابو كرم في ذلك

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مُلَاءً مُعَضِّدًا وَبُرُودًا

وَأَقَمْنَا بِهِ مِنْ الشَّهْرِ عَشْرًا وَجَعَلْنَا لُبَابَهُ إِقْلِيدًا

وَخَارَجْنَا مِنْهُ نَوْمٌ سُهَيْلًا قَدْ رَفَعْنَا لِيَاءَنَا مَعْقُودًا

" وفي شهر محرم 1346 هجري اصدر الملك عبد العزيز أوأمره بانشاء دار خاصه بصناعه الكسوه وانشات تلك الدار بمحله اجياد أمأم دار وزاره الماليه العموميه بمكة المكرمه تمت عمارتها في نحو الستة اشهر الأولى من عام 1346 هجري فكانت هذه الدار أول مؤسسه خصصت لحياكه كسوه الكعبه المشرفه بالحجاز².

المدينة المنورة في ادب الرحلات الرحلة الحجازية:

" ان مدينة بهذا التاريخ المشرق وبهذه السيره العاطره وبهذا التقديم والتبجيل من خالق الأرض والسماء ومن حبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام وبهذه المكانه العريقه من أنها عاصمه الاسلام الأولى ومنطلق الدعوه ومازر الايمان على مر العصور و الازمان والقلعه

¹ <https://arWikipedia.org>

² كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

صفحه 60

² صالح احمد العلي، الحجاز في صدر الاسلام، طبعة 01، مؤسسه الرساله، بيروت، 141هـ، 199م، صفحه 100

التي حارب منها اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمه ونشر الاسلام وانطلقت منها جحافل الخير والهداية مدينة بهذه الملامح والسميات وبهذا التجذر في أعماق التاريخ الانساني وبهذا المجد حقيقي للنفوس المؤمنة انجاذبه اليها وتذوب عشقا في حبها بالعقول ان تزهو بأمجدها ومعالمها واثارها وبالاقلام التي تتفنى في وصف أيامها ورجالها وماثرها وانوارها التي لا تقاوم"¹.

الأمر الذي يعتبر ذلك التدفق الابداعي لهؤلاء الرحابه قديما وحديثا من الذين كانوا وما يزالون يرون في تلك الحواضر الحجازيه وبخاصه مكة والمدينة ولافتدتهم مطمحا لرغائبهم وملتقى روحيا تتطلع نفوسهم لبلوغه لأداء فريضة الدين الحنيف وحسب ولكن فيما رأى.

ولكن قيما رأى للتزود من الرأي الايماني يوصل الحبيب واخمد نيران العشق المحمدي في النفس ورواء الضما الوجداني يقولوب عامره بالشوق الى محيط النور وعواطف متاجبه بحب الحبيب ومن هؤلاء الرحالة التركي أوليا جلبي الذي توقف عن دراسه عن رحلته الطيبه التي تضمنتها رحلته الموسومة الرحلة الحجازية.

" من منا يصبر على فراق ملامح المدينة وحرمها ووقتها وذكرياتا وان زارها مره واحده ومن منا يتحمل البعد عن طيبه الطيبه ان القلب ينخلع خلعا وانت تفارق المدينة باب الرحمة والنور والهداية المسجد البقيع ومسجد القبلتين جبل احد مشاهد وملامح ومعالم عظيمه قلما ان وجود الزمان بها على بقعه اخرى غير طيبه المسكينة المحبوبة أو تجد من يضارعها في أرض دون سواها فيما رواه ابن عمر رضي الله عنه تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليفعل فاني اشهد لمن مات بها ولا شك ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهه النبوي للأمة يبرز مكانه المدينة المنورة ومنزلتها"².

¹علي عبد الوهاب مطاوع، المدينة المنوره في اداب الرحلات الرحله الحجازيه "لاولي جلبي"، جامعه الازهر، صفحه 773

²المرجع نفسه، ص 775

" وكان من الطبيعي ان يدرس هؤلاء الرجال الصناديق من ابطال الاسلام الفاتحين طبيعه هذه الأرض التي اراد الله لها ان تنعم بشمس الاسلام وفتحه وان يقفوا على عادات وتقاليده وثقافاتي واعراف شعوبها وابرز ما تميزت به من اثار وعلوم وحضارات فتحت بعد ذلك افاق المعرفة وأوجدت رؤى جديده للعرب واعطته قوه في مجتمعه الجديد مما يؤكد ان الرحله والرحالة وادب الرحلات وكل ما يتعلق بهذا الجنس الادبي قد انطلق حقيقه من أرض العرب وان ظهر عند أمم اخرى قديمه ولكن ليست بهذه الصوره الادبيه العلميه التي ظهرت على يد الرحالة العرب ايان الفتوحات الاسلاميه"¹.

ولقد شاد المناخ في المدينة المنورة صحراوي قار جاف وصيفها طويل حار وبينما شتائها قصير تتخلله بعض الأيام المطيرة ويتميز مناخ المدينة بدرجات حرارة عالية تتراوح بين 30 و50 درجة مئوية.

كما يمكننا الحديث عن سكانها بحيث يتفق المؤرخون ان أول من سكن المدينة المنورة قوم يثرب ابن عبيل بن عوض بن ادم بن سلم ونظر للموقع الجغرافي في المدينة المنورة وكثرة مياهها الجوفية وخصوبة أرضها فقد جعلها ذلك محطه انظار القوافل التجاريه التي تعبر أرض الجزيرة العربيه في رحله الشتاء والصيف.

كما كانت لها خصائص مما اكسبتها مكانه عظيمه في السنة المطهره بعد هجره الرسول صلى الله عليه وسلم اليها وتجد في كتب الاحاديث والاثار وبعض المصادر التاريخيه فضائل عديده للمدينة المنوره واهلها ونذكر بعضا منها بالإيجاز

فيها مسجد النبوي الشريف الذي تفضل الصلاة فيه ألف صلاة كما روى ابن عباس عن النبي يقول صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا مسجد الكعبة

فيها روضه من رياض الجنة كما جاء في الحديث أبي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بين بيتي ومنبري روضه من رياض الجنة ومنبري على حوضي "

¹علي عبد الوهاب مطاوع، المدينة المنورة في اداب الرحلات الرحلة الحجازية "الأولي جلي"، جامعه الازهر، صفحه 762

ومن فضائل المدينة النبوية ان الله طهرها من الشرك فلن يعود اليها ابا باذن الله كما جاء في حديث عباس بن عبد المطلب عن العباس بن عبد المطلب فقال: " ان الله نزه هذه الجزيرة وفي لفظ لقد تبرئ الله اهل هذه المدينة من الشرك"

" فضل الموت في المدينة الموت في المدينة المنورة فضيله ونعمه كبيره لذلك روي عن عمر بن الخطاب انه قال: " اللهم ارزقني شهاده في سبيلك واجعل الموت في بلد رسوك ¹"

المدينة المنورة يلقبها المسلمون طيبة الطيبة أول عاصمة في تاريخ الاسلام وثاني أقدس الأماكن لدى المسلمين بعد مكة هي عاصمة منطقة المدينة المنورة الواقعة على أرض الحجاز التاريخية غرب المملكة العربية السعودية تبعد المدينة حوالي 400 كلم عن مكة المكرمة في الاتجاه الشمالي الشرقي بحيث تبلغ مساحتها حوالي 589 كلم مربع منها 99 كلم مربع تشغلها المنطقة العمرانية أما باقي المساحة فهي خارج المنطقة العمرانية وتتكون من جبال ووديان ومنحدرات.

أسست المدينة المنورة قبل الهجرة النبوية من 1500 عام وعرفت قبل ظهور الاسلام باسم يسرب وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم لقوله تعالى: " ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۗ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۗ ﴾ ²"

فورد في الحديث الصحيح ان النبي محمد بن عبد الله غير اسمها من يثرب الى المدينة ومنع استخدام اسمها القديم فقال من قال المدينة يثرب فليستغفر الله والمدينة المنورة محرم دخولها على غير المسلمين فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم اللهم أني احرم ما بين ما مثل ما حرم ابراهيم مكة اللهم بارك في مدهم ومتاعهم صحيح البخاري

تضم المدينة المنورة ثلاثة من أقدم المساجد في العالم ومن اهمها عند المسلمين الا وهي:

¹كيفيات الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

صفحه 118

²سورة الأحزاب، الآية 13

المسجد النبوي ومسجد قباء ومسجد القبلتين تستمد المدينة المنورة أهميتها عند المسلمين من هجره النبي محمد إليها وأقامته فيها طيلة حياته الباقية فالمدينة هي أحد أبرز وأهم الأماكن ويسمى المسلمون السور القرآنية التي نزلت بعد الهجرة إليها بصور المدينة ومفردتها سورة مدنية

" يبلغ عدد سكان المدينة حوالي مليون و 52 1991 نسمة وتضم المدينة بين احضانها الكثير من المعالم والاثار ولعل ابرزها المسجد النبوي والذي يعد ثاني اقدس المساجد بالنسبة للمسلمين بعد المسجد الحرام في مكة المكرمة بالإضافة الى مقبره البقيع والتي تعد المقبرة الرئيسية لأهل المدينة والتي دفن فيها الكثير من الصحابة ومسجد قباء أول مسجد بني في الاسلام ومسجد القبلتين وجبل احد والكثير من الوديان والابار والشوارع والحارات والازقه القديمة".

مقام ابراهيم:

وهو الحجر الذي كان يقف عليه ابراهيم واثناء بناء الكعبة وهو قبة أمم باب الكعبة وبينهما 12 م وفي الداخل المقام حجر يسمى الحجر الاسود وعليه اثر قدمي ابراهيم وبعض الروايات يرجعون ان المقام كان ملصقا بجدار الكعبة ونقل من مكانه في خلافه عمر

" كما يمكن القول هو حجر اثري قام عليه النبي ابراهيم عند رفع قواعد للكعبة وفقا للعقيدة الاسلامية وقد شق عليه نتوء الحجارة حيث كان النبي ابراهيم يقوم عليه ويبني وهو الحجر الذي قام من عليه ومن هذا الحجر اثر قدمي النبي ابراهيم بعدما غاص فيه قدمه وهو الحجر الذي تعرفه الناس اليوم عند الكعبة المشرفة ويصلون خلفه ركعتي الطواف فقد روى البخاري عن ابن عباس قال فجعل ابراهيم يابني واسماعيل نواله الحجارة ويقولان واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم سوره البقرة وهو عباره الحجر مربع الشكل طوله نصف متر تقريبا لونه بين البياض والسوادي والصغرة ومغطى حاليا بواجهة زجاجيه علي غطاء من نحاس من الخارج وأرضيه رخأمية فهو حجر رخو من نوع حجر ماء غاصت فيه قدم النبي ابراهيم وبرزت فيه اثار قدميه ولكن نتيجة لتمسح الناس فيها طمست ملامح القدم قال ابن كثير وكانت اثار قدميه ظاهره فيه ولم يزل

هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها وقد ادرك المسلمون ذلك فيه أيضا كما قال انس بن مالك رأيت مقاما فيه اصابعه اخمص قدميه غير انه اذهب مسح الناس بأيديهم وروى ابن جرير عن قتاده انه قال واتخذوا من مقام ابراهيم صلى انما أمروا ان يصلوا عنده ولم يؤمر بمسحه وقد تكلفت هذه الأمة شيئا تكلفه الأمم قبلها ولقد ذكرنا من اثر عقبه واصابعه فيه وما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى تمحي¹.

"واستمر الحجر كما هو في مكانه ملاصقا للكعبة حتى عهد رسول الله في يوم الفتح حين اخره عن موضعه عندما نزلت ايه واتخذوا من مقام ابراهيم صلى الى مكانه الحالي حتى لا يعوق المصلون خلفه الطائفتين.

و روى الأرزقي: " أن موضعه الحالي هو موضعه في الجاهلية و في عهد أبي بكر و عمر ، الا أن السبيل ذهب به في خلافة عمر ، فجعل في وجهه الكعبة الا أن عمر رده الى موضعه بمحضر من الناس"²

كان المقام مكشوبا بدون اي حاجز يحميه والقرمطة الذين سرقوا الحجر الاسود ارادوا سرقة المقام أيضا"

لمقام ابراهيم قصه وتاريخ كما قلنا سابقا انه مقام هو عباره عن حجر الذي وقف عليه سيدنا ابراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة حيث أمره الله سبحانه وتعالى ببناء الكعبة وساعده ابنه اسماعيل في ذلك فكان يحذر له الحجارة وسيدنا ابراهيم يبني فلما أصبح البناء مرتفعا جلب اسماعيل وهذا الحجر ووضع ل سيدنا ابراهيم فقأم سيدنا ابراهيم ووقف على الحجر ودع الله بان يتقبل منهما

بقي الحجر مكانه ملاصقا للكعبة حتى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الفتح حيث غير مكانه ووضعوه في مكانه الحالي وذلك حتى ليشكل عائقا على المسلمين اثناء

¹ كفيات الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

صفحه 106

² الإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن عباس الفاكهي الملكي ، اخبار مكة في قديم الدهر و حديثه ، دار خضر للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ج 2 سنة 1987 ، ص 35.

تأديتهم الصلاة وفي عهد عمر رضي الله عنه اصاب سيل شديد المكان وجرف الحجر المكنة وذهب له الى مكان بعيد ثم قام عمر بإعادته الى مكانه.

فضل مقام إبراهيم:

لمقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام فضل كبير ومكانه عالية في الاسلام وعند المسلمين وبيان فضل هذا المقام فيما يأتي

يعتبر ياقوت من يواقيت الجنة حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقام ابراهيم عليه السلام ان الركن والمقام ياقوتتان من الجنة لمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما على اضاءه ما بين المشرق والمغرب

" نادى عليه سيدنا ابراهيم الناس في الحج قال: " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ 26 وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ 27 لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ 1 .

"حث الله تعالى الاهتمام به حيث أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بان يتخذ مقام ابراهيم مصلى لهم في الحج والعمرة قال تعالى: " واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى "

مدينة جدة:

في مركز محافظه جدة احدى محافظات منطقه مكة المكرمة وتقع في غرب المملكة العربية السعودية على ساحل البحر الاحمر تبعد المدينة 949 كلم عن عاصمه الرياض وتعد العاصمة الاقتصادية والسياحية للمملكة العربية السعودية وتعد الوجهة الأولى في المملكة للسائح سواء من الداخل أو الخارج يبلغ عدد سكانها 4 مليون 697 الف نسمة اعتبارا من عام 2021 وتبلغ مساحتها الإجمالية 84.658 هكتار 846.58 كلم مربع وهي ثاني اكبر

¹سورة الحج آية 26-28.

مدن المملكة كما تعتبر بوابه الحرمين الشريفين بها اكبر ميناء بحري على البحر الاحمر وتعد مركز للمال والاعمال في المملكة ونقطه رئيسية لتصدير البضائع الغير نفطيه واحتياجات المحلية

كما يوجد في جدة ما يقارب 135 ناظحة سحاب كما يوجد بها مقرات للبنوك العالمية كما تلقب جدة بعروس البحر الاحمر وهي أكبر المدن المطلة عليه مما اكتبتها أهمية كبيره لحركه التجارة الدولية مع الاسواق الخارجية وهي في القديم الزمان كانت تمثل المنفذ الخارجي للمملكة ونتيجة لذلك عايشه نهضة صناعيه كبيره وتطورا في جميع المجالات التجارية الأمر الذي جعلها من أكثر المدن استقطابا للأعمال حتى صارت مركزا هاما للمال والاعمال

"وباتت من أكثر المدن السعودية التي تحتضن مرافق ونشات سياحيه متطورة كالفنادق والشقق المفروشة والمنتجعات والمطاعم والمتاحف في الأثرية والعلمية والتاريخية كما تعرف بالمتحف المفتوح لوجود أكبر عدد من المجسمات الجمالية صمأها فنانون عالميون في فن النحت وعند المشي من الكورنيش التي ترتفع 312 مترا على سطح البحر.

" يدخل الى جدة سنويا عبر مطار مالك عبد العزيز الدولي اعداد كبيره تصل الى خمس ملايين نسمة سنويا بهدف العمرة أو العمل أو السياحة والترفيه مما يشكل قوه شرائية هامة وذات طلب مؤثر على المشروعات السياحية والترفيهية وقطاعات الاعمال والتجارة'.

لقد كانت جدة محل الاهتمام عند الادباء بحيث وصفوها على أنها مدينة ساحليه جميله وقد وصفها الاديب تشارلز دينيه في قوله أخبروني في القاهرة ان جدة ليست الا حيا صغيرا وقد تكرر ذلك على مسامعي حتى انني لم أكن انتظر رؤيتها انا ما هي عليه كم كانت دهشه كبيره عندما وجدتها على العكس مدينة جميله متكبين البناء جيده التأسيس تعج بالسكان نابضه بالحياة ومزدحمة وجديرة على كل المستويات ان تحمل الاسم التي تعرف به ميناء مكة المكرمة وليس بأقل جداره لحمل اسمها الذي يعني بالعربية الفنية

ويقول أيضا فالماء العذب نادر فيها وهوائها قاسي في فصل الصيف حار ورطب وفي الوقت نفسه تتخيله الاعصاب ويوهن الجسد وخصوصا هواء الجنوب وان كثير من الاجانب والسكان الاصليين لا يستطيعون اعتياده فالحم المقلعة تكاد تكون مستوطنه على هذا الشاطئ الذي تنتشر فيه الأوبئة أكثر من اي شاطئ اخر في الجزيرة العربية

ووصفها المقدس جيت:

"محصنة عاملة اهل تجارات ويسار خزانة مكة ومطرح ايمن وبها جامع سري غير انعم في تعب من الماء مع ان فيها بيره كثيره ويحمل اليهم الماء من البحر قد غلب عليها الفرس لهم بها قصور عجيبة وازقتها مستقيمه ووضعها احسن شديده الحر جدا"¹

" كما يوجد بها سور بثلاثة ابواب باب اليمن في الجنوب باب المدينة المنورة من الشمال واخيرا باب مكة المكرمة في الشرق وهو أجملها"²

" تشتهر جدة بأنها مدينة مقدسه شأنها شان مكة المكرمة والمدينة المنورة وكل الذكور المولودين في احضان جدة يحملون على وجوههم وشما يسمى المشالي وهي عباره عن جروح عميقه تحدث في وجوه الاطفال عندما يبلغون 40 يوما وهي ثلاثة على كل وجنه واثنان على كل صدغ لتظل هذه المشالي مدى الحياه موجوده على وجوههم لتكون لهم علاقه توقيير لدى المؤمنين ان هذه الندب المقدسة في العادات الاسلاميه تجعل أولئك الذين يحملونها يحوزون مجملها قمة الشرف"³.

زمزم:

بئر زمزم أو زمزم بئر ماء في الحرم المكي بمدينة مكة المكرمة يقع على بعد 21 متر شرقي الكربلاء وتاريخ قديم ويرجعه المؤرخون الى 2000 قبل الميلاد كحد اقصى من عهد

¹كيفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

صفحه 77

²شارل ديببيه، رحله الى الحجاز، دون طبعه، دار الفيصل الثقافيه، 2001م، صفحه 170

³المرجع نفسه، ص 173

النبي ابراهيم وابنه اسماعيل يبلغ عمقه كثير متر وتصب في عدد من عيون الماء قديمة بقدّم البئر نفسه وبحسب الأحاديث الواردة في سيره النبي محمد فان الماء مباركه وفيها شفاء للأسقام وعلى ذلك فلها خصوصيه بالغه عند المسلمين.

قامت المملكة العربية السعودية بأضحم عملية تنظيف لبئر زمزم ووضعت خريطة دقيقة لابعادها ومصادر تغذيتها للمياه في عام 1399هـ بواسطة اثنان من الغطاسين وتم من خلال عملية التنظيف انتشار جميع المخلفات الطينية والجرانل التي كان ضيوف الرحمن يلقونها على مر السنين تيمنا وتبركا كما تم استخدام قرش لتنظيف حوائط الجدران للبئر وتم الانتهاء من هذا العمل نفس العام 1399هـ¹

جاء ذكر ماء زمزم في عده احاديث مسيره النبي محمد تروي ان هذا الماء المبارك نبع من الأرض بعد ما لبشها الملك جبريل بعقبه أو بجناحه لنبي الله اسماعيل وأمه هاجر وذلك حين نفذ ما عندهما من ماء وزاد فقدهما لنبي الله ابراهيم بأمر من الله في ذلك الوادي الفقر الذي لا زرع فيه ولا ماء وجهدت هاجر واتبعها البحث سماعيه بين بين الصفا والمروة ناظره في افق البعيد عليها تجد غيثها حتى كان مشبعا بينهما سبع مرات ثم رجعت الى ابنها فسمعت صوتا فقأمت اسمع صوتك فاغثني ان كان عندك خير فضرب جبريل الأرض فظهر الماء فحاقنته أم اسماعيل برمل ترده خشيه ان يفوتها قبل ان تأتي بالوعاء فشربت ودارت على ابنها وقد روى البخاري هذه الواقعة مقوله جدا في صحيحه.

" يعتبر بئر زمزم من العناصر المهمة داخل المسجد الحرام وهو اشهد بئر على وجه الأرض لمكانته الروحية المتميزة وارتباطه في وجهان المسلمين عامه والمؤدبين لشعائر الحج والعمرة خاصة وقد افادت الدراسات ان العيون القديمة للبئر تضع ما بين 11 الى 18.5 لترا من الماء في الثانية".

جاء ذكر ماء زمزم في عده أحاديث مسيره النبي محمد تروي ان هذا الماء المبارك نبع في الأرض بعد ما نبشها الملك جبريل بعقبه

¹ عبد الله بن حمد الحقييل، توحيد المملكة العربية السعودية واثاره في النهضة العلمية والاجتماعية، مكتبة العبيكان السعودية 1997

لماء زمزم ما كان وفضائل كثيره عند المسلمين منها انه أولى الثمرات التي اعطاها الله لخليله النبي ابراهيم عليه السلام عندما رفع يديه وقال ربنا أنى اسكت من ذريتي بواد غير ذرع عنه بيتك المحرم ربنا ليقم الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من ثمرات لعلمهم يشكرون¹ وان ماء زمزم من الآيات البيئات في حرم الله كما انه يعد من أعظم النعم والمنافع المشهودة التي ذكرت في القرآن ليشهدوا منافع لهم.²

ومن بين فضائله ومنافعه خاصيه الاستشفاء به كما جاء في الحديث النبوي أنها مباركة أنها طعام طعم وقال الثعالبي في ثمار القلوب فكم من مثلي قد عوفي بالمقام عليه والشرب منه والاعتسال به بعد ان لم يدع في الأرض ينبوعا الا اتاه واستنفع فيه

ثبت ان رسول الله محمد شرب ماء زمزم وهو قائم روى البخاري عن العباس بن عبد المطلب انه قال سقيت رسول الله من زمزم وهو قائم كما ورد عنه ان ماء زمزم لما شرب له وقد نص علماء المسلمين على ان الدعاء بعد الفراغ من شربه مما ترجى اجابته واحمد عن جابر عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم انه قال ماء زمزم لما شرب منه

ولم يثبت عن نبي الله محمد انه قال دعاء مخصوصا عند شرب ماء زمزم لكن روى الدار قطني عن ابن عباس انه كان اذا شرب ماء زمزم قال اللهم اني اسالك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء فأدلى لمن شرب ماء زمزم ان يشربه بنيه صالحه ثم يدعو الله بعد فراغه

المسجد النبوي:

المسجد النبوي أو الحرم النبوي أو المسجد النبي احد اكبر المساجد في العالم وثاني أقدم موقع في الاسلام بعد المسجد الحرام في مكة المكرمة وهو المسجد الذي بناه النبي محمد في المدينة المنورة بعد هجرته سنة 2022 بجانب بيته بعد بناء مسجد قباء مرة المسجد بعده توسعات عبر التاريخ مروراً بعهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية فالعباسية والعثمانية واخيرا في عهد الدولة السعودية حيث تمت اكبر توسعه له عام 1994 ويعتبر المسجد النبوي أول

¹سوره ابراهيم الآية 37

²سوره الحج الآية 28

مكان في شبه الجزيرة العربية يتم فيها الإضاءة عن طريق استخدام المصابيح الكهربائية عام 1327 هجري الموافق ل 1909

بعد توسعه الذي قام بها عمر بن عبد العزيز عام 91 هجري ادخل فيه حجره عائشة والمعروفة حالياً بالحجرة النبوية الشريفة والتي تقع في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد والمدفون فيها النبي محمد وأبو بكر وعمر بن الخطاب وبنيت عليه العقبة الخضراء التي تعد من أبرز معالم المسجد النبوي كان للمسجد دور كبير في الحياة السياسية والاجتماعية فكان بمثابة مركز اجتماعي ومحكمة ومدرسه دينية ويقع المسجد في وسط المدينة المنورة ويحيط به العديد من الفنادق والأسواق القديمة القريبة وكثير من الناس الذين يؤدون فريضة الحج أو العمرة يقومون بزيارته وزياره قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

فضائل المسجد النبوي:

ورد كثير من الأحاديث النبوية عند المسلمين تبين فضل المسجد النبوي ومكانته عندهم ومن ذلك

"انه هو المسجد المذكور في الآية مسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق وان تقوم فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين"¹

الصلاة فيه تعادل ألف صلاة في غيره فعن ابي هريره عن النبي محمد قال صلاة في مسجد هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام

"انهما صلى فيه 40 يوما كتب له النجاة من النار رأويه عن انس بن مالك ان النبي محمد قال من صلى في مسجد اربعين صلاة لا تقوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءه من العذاب وبراءة من النفاق"

"المسجد النبوي من المساجد الثلاثة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى ويستحب المسجد النبوي

¹سوره التوبة الآية 108

للصلاة فيه وهي مشروعه طول العام وليس لها وقت مخصوص وليس لها تعلق بالحج لكن يستحب لمن قدم للحج ان يزوره مسجد صلى الله عليه وسلم ليدرك فضيله الصلاة فيه¹

" يحتوي المسجد في وضعه الحالي بعد قرون من التوسعات على قبر النبي محمد وقبرين خليفتهين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب كان يحتوي على منازل زوجات النبي علاوة على تشييد المسجد في عام 632 ميلاديه جوارا مسكن النبي محمد اي قبل 1441 سنة ولكنه خضع للعديد من التجديد والتوسعات منذ ذلك الحين وكان اكبر تلك التجديدات قد تم على يد الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز وما زالت مستمرة الى اليوم"

ويعتقد بانه في حال اتمام التوسعات الجارية حاليا يمكن للمسجد الذي يؤمن الملايين من الزائرين سنويا استيعاب نحو 1.8 مليون مصل في الوقت الحالي من المعالم الرئيسية التي تحيط بالمسجد النبوي بقية الفرقة وهي المقبرة الرئيسية لأهل المدينة منذ عهد النبي وتقع حاليا عند الجدار الغربي للمسجد ويرقد في البقية المئات من صحابه النبي

"كما تحيط بالمسجد مبان حكومية ومستشفيات وفنادق فاخرة ومجمعات تسوق وطرق رئيسية"

هناك اختلاف بين الروايات في المدة التي استغرقت في بناء المسجد فمنهم من يرى أنها سبعة أشهر اي حتى شهر شوال من عام واحد هجري ومنهم من يرى أنها 10 أشهر

" وقد شارك النبي محمد شخصيا في تشييد المسجد الذي بنى من جدار طينيه على اسس صخرية واستخدم الجذوع وسهق النخيل في تشييد جزء من سقفه"

مدينة الطائف:

" وهي المدينة الثالثة من الحجاز وكانت تعرف قديما باسم "وج" نسبة لوادي وج الذي ينسب الى وج بن عبد الحي ابن العماليق².

¹ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مناسك الحج والعمرة وزياره المسجد النبوي

² صحيح البخاري ج/ 4422

ويذكر الشعوب أرسلان نقلا عن الاصمعي انه قال: " دخلت الطائف فكأنني كنت أبشر وكان قلبي يتضح بالسرور ولا اجد لذلك سيما ان لم انفساخ مرها وطيب نسمتها."¹

الطائف مدينة سعودية تقع في الغرب من المملكة العربية السعودية تابعا لمنطقه مكة المكرمة 75 كلم وتحيط بها الجبال من جميع الجهات وترتفع على سطح البحر بمسافه تتدرج ما بين 1700 الى 250 متر مما اكسبها جوا لطيفا البوابة الشرقية للحرمين الشريفين عبر مكة المكرمة كما أنها نقطة التقاء الطرق المتصلة بجميع مناطق المملكة عبر مناطق ومدن اخرى كما تضم الطائف ين من مواقيت الاحرام وهما السيل الكبير القادمين على المنطقة الوسطى ووادي محرم القادمين من الجنوب

زار الطائف العديد من الرحالة كالرحالة خبير والذي زارها في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وبعد خمسه قرون زارها العباسي الذي سلك طريقا بحرا حيث مر من الكثير من الأماكن مثل

منى - مزدلفة - عرفة - نعمان - الكر - الهدا، بحيث وضعها بقوله وصلنا الطائف وهي قصور في المستوى من الأرض تحيط بها جنات الاعظم يقصد المسجد ابن عباس رضي الله عنهما كما استمر واصفا النشاط الاقتصادي فيها وفي هذا البلد اسواق حافله يحضرها الناس من اطراف نجد ويجلي اليها من الحبوب والثمار والزبيب والعسل ما قضينا العجب من كثرته.

وأیضا نجد الموسوي فقد مر بالأماكن التي مر بها العياشي وقد وصفها لقوله الطائف أكثر مدن الحجاز واهله كانوا سابقا في ثوره من الغنى والمال ويجلب منها الى مكة الفواكه النفيسة وغير ذلك من الحب والشعير والسمن والعسل واللوز وبالطائف كثير من العرب والهنود وهي منازل ثقيف وبها مياه عذبه وفواكه مختلفة وبها ديار بني سعد وبني اقوام من قريش وهذيل وثمانه وناصر بجيله.... وقد أعجب بالطائف حتى انه قال فيها قصيده مطلعها

¹الرحلة الحجازية لشعيب أرسلان، صفحة 124

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ يَجِيرُهُ الطَّائِفُ فَأَنْتُمْ وَحَقَّ الْمُصْطَفَى مَا

وَحَيَّاكُمْ رَبُّ الْأَنْامِ بِلُطْفِهِ وَطَافَ عَلَيْكُمْ بِالرِّضَا

ذكرها أيضا الأديب شكيب ارسلان حين زاره عام 1948 قائلاً في الطائف المياها ترتفع بالثواني والماء الجاري من نفسه هناك انما هو عينان غارزتان احدهما عين السلامة والأخرى عين الوسط

ونجد أيضا علماء الطائف الحبر عبد الله بن العباس وعندما زار خير الدين الزركلي الطائف في عام 1339 هجري اجتمع مع اهالي وعلماء المنطقة وقد أثني عليهم في كتابه ما سمعت وما رأيت ومنهم الشيخ عبد الله ابن ابي بكر بن علي كمال الذي قال عنه الزركلي انه أفقها من في هذه المدينة واعلم بالأدب وفنونه وقد أورد له بعض القصائد منها

وَعَجَّ بِي نَحْوَهُمْ عَجَّ بِي

تَرَفَعَ أَيُّهَا الْحَادِي

بِذَاكَ السَّفْحُ وَالشُّعْبُ

كِرَامٌ قَدْ عَاهَدْنَاهُمْ

وَرِيحُ الْمَنْدَلِ الرَّطْبُ

أَرِيحُ الْمِسْكَ رَبَّاهُمْ

بِذَلِكَ الْمَنْزِلِ الرَّحْبُ

إِذَا وَافَيْتَ أَفْيَاءَ

مَنْ سَلَسَأَلَهَا الْعُدْبُ

وَأُورِدْتَ الْهَيْاطِ الصَّوْبِ وَ

مَحَبَّةَ هَائِمٍ صَبَّ

فَبَلَّغَهُمْ سَلَامًا مِنِّي

وبالتال والرحب

وَإِذَا حَبُوكَ بِاللُّطْفِ

سُمَيْرِ الْأَنْجُمِ الشُّهْبِ¹.

فَقُلْ عَهْدِي بِهِ مُغْنِي

¹ <https://arWikipedia.org>

" من المعالم والاثار الموجودة في مدينة جدة مسجد حريم السعدية في بني سعد جنوب الطائف ومسجد عبد الله بن العباس وقرية المعدن سوق عكاظ التاريخي وقصر شبر التاريخي وما يمكن القول بان مدينة الطائف لها فضل ودور لقوله تعالى ان الله تعالى قرنه بالحرمين أيضا في سابقه شفاعته لأهله على غيرهم من ليس من اهل الحرمين فقد قال أول من اشفع له يوم القيامة اهل مكة واهل المدينة واهل الطائف"¹

المبحث الثاني: أهم الجوانب والقضايا في الرحلة الحجازية

الجوانب دينية:

تعددت الاثمة في الحرم الملكي تبع لتعدد المذاهب في ذلك الوقت حيث كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة أمم ومكان خاص لأمامه وقد ذكر ابن جبير في رحلته عدد الاثمة في الحرم حيث يقول² وللحرم اربعة ائمه سنيه وأمام خامس لفرقه تسمى الزيدية واشراف اهل هذه البلدة على مذهبهم وهم يزيدون في الاذان حي على خير العمل اثر قول المؤذن حي على الفلاح وهم روافض سبابون والله من وراء حسابهم وجزائهم ولا يجمعون مع الناس وانما يصلون ظهرا اربعا ويصلون المغرب بعد فراغ الاثمة من صلاتها

" فأول الاثمة السنية الشافعي رحمه الله وإنما قدمنا ذكره لأنه المقدم من الأمام العباسي وهو أول من يصلي وصلاته خلف مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا الكريم الا صلاة المغرب فان الأربعة الاثمة يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها"³

" يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة ثم يقيموا مؤذن سائر الاثمة وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوا وغفلا لاجتماع التكبير فيها من كل جهة فربما ركع المالك بركوع الشافعي أو الحنفي أو سلم احدهما بغير سلام أمامه فترى كل اذن موصيه لصوت أمامها أو صوت

¹كيفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

صفحه 139

²كيفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان، صفحه

290

³ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادرة، بيروت، ص 78

مؤذنه مخافة السهو ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس ثم المالكي رحمه الله عليه وهو يصلي قبله الركن اليماني حجر ينسبه محاريب الطرق الموضوعة فيها ثم الحنفي رحمه الله وصلاته قبله المزراب تحت خطيم مصنوع له وهو اعظم الائمة واخفهم اله من الشمع وسواها بسبب ان الدولة الإعجأمين حلها على مذهبه فالاحتفال له كثير وصلاته اخرا ثم الحنبلي رحمه الله وصلته مع صلاة المالكي في حين واحد موضع صلته يقابل ما بين الحجر الاسود والركن اليماني ويصلي الظهر والعصر قريبا من الحنفي في بلاط الاخذ من الغرب الى الشمال والحنفي يصليهما في البلاد الاخر من الغرب الى الجنوب قبله محرابه وللشافعي ايزاء المقام حطيم حفيل" ¹

" والمالكي اقلهم شمعا واضعفهم حالا لان مذهبه في هذه البلاد غريب والجمهور على مذهب الشافعي وعليه علماء البلاد وفقهاها الا الإسكندرية واكثرهم اهله مالكون وبها الفقيه ابن عوف وهو شيخ كبير من اهل العلم بقيه الائمة المالكية" ²

وفي مكان اخر يتحدث ابن جبير عن مسجد عائشة ويتيسر الى المذهب المالكي بأنهم يحرمون من مسجد عائشة حيث يقول:

ومسجد عائشة خارج هذه الاعلام بمقدار علوتني واليه يصل المالكون ومنه يحرم وأما الشافعيون فيحرمون من المساجد التي حول الاعلام المذكورة

" وأشار عدد الرحالة الى تنوع حلقات العلم كحلقة سماع الاحاديث الشريفة وحلقة التفسير وحلقة الشعر والادبي وحلقة علوم الحديث وحلقة العلم القراءات والفقه وغيرها من العلوم والذين اشاروا الى هذه الحلقات منهم ابن جبير وابن بطوطة والتجبير وغير ذلك من الرحالين" ³

¹ المرجع نفسه، ص 21

² المرجع نفسه، ص 80

³ كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحلة، دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

قد تحدث ابن جبير عن تعدد الحلقات العلمية بتنوع العلماء وكثرتها وحضر في احدى الحلقات العلمية حيث يقول:

" فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الأمام رضي الدين القرويين رئيس الشافعية وفقهيه المدرسة النظامية والمشار اليه بالتقدير في العلوم الأصولية حضرنا مجلس بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر يوم الجمعة الخأمس لصفر المذكور فصعد المنبر واخذ القراءة أمامه في القراءة على الكرسي موضوعة وشوقوا وأوتوا بتلاحين معجبه ونغمات محرجه مطربه ثم اندفع الشيخ الأمام المذكور فخطب خطبه السكون ووقار وتصرف في افانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل تم رشقته شبيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر وتقدم وما تأخر ودفعت اليه عده رقاع منها فجمعها جملة في يده يجأوب على كل واحده منها وينبذ بها ان فرغ منها وحان المساء فنزل وافترق الجمع فكان مجلسه مجلس عليم ووعظ"¹

الجوانب التاريخية:

ترتبط رحله الحج بزياره الأماكن المقدسة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بأحداث التاريخ الاسلامي وما جرى فيه من احداث تاريخيه فأمكنه التاريخية في رحله الديار المقدسة تمثل حلقة رئيسية في تشكيل جماليات المكان وقد تمكن المؤلف ان يوضح تلك الاحداث والأمكنة² ومن هنا نذكر رحله ابن جبير وتحديثه عن مدينته جدة وتاريخها

جدة هذه قرية على ساحل البحر المذكور أكثر بيوتها اخصاص وفيها فنادق مبنيه بالحجارة والطين وفي اعلاها بيوت من الاخصاص كالغرق ولها سطوح يصرح فيها بالليل من اذي الحر وبهذه القرية اثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة وأثر سورها المحقق بها باق الى اليوم وبها موضع فيه قبة مشيده عتيقه يذكر انه كان منزل حواء أم البشر صلى الله عليها عند توجهها الى مكة فبنى ذلك المبنى عليه تشهينا لبركته وفضله والله اعلم بذلك

¹ المرجع السابق، ص 293

² <https://dspace.univ.jijel.dz>

" وفيها مسجد مبارك منسوب الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ومسجد اخر له ساريتان من خشب الالينوس ينسب أيضا اليه رضي الله عنه ومنهم من يصيبه الى هارون الرشيد رحمه الله عليه"¹

" وبخارج هذه البلدة مصانع قديمة تدل على قدم اختطاطها ويذكر أنها كانت من مدن الفرس وبها جباب منقوره في الحجر الصلد يتصل بعضها ببعض تقوت الاحصاء كثيرا وهي داخل البلد 300 جبا ومثل ذلك داخل البلد وعائنه تحت جملة كثيره لا يأخذها الاحصاء وعجائب الموضوعات كثيره فسبحان المحيط علما بها"²

" ويحكى لنا أيضا عن بعض المشاهد العظيمة والمقدسة كمشاهد الوحي وأيضاً مولد النبي صلى الله عليه وسلم ودار الحزران حيث يقول وعن مشاهدتها النزيهة أيضا دار الحزران وهي الدار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعود الله فيها سرا مع الطائفة الكريمة المبادرة للاسلام من اصحابه رضي الله عنهم حتى نشر الاسلام منها على يد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكفى بهذه الفضيلة"³

" دخلنا دار الحزران التي كان منها منشأ الاسلام وهي بإيذاء الصفا ويلاصقها بيت صغير عن يمين داخل اليها كان مسكن بلال رضي الله عنه ويدخل اليها على حلق كبير شبيه الفندق قد احدثت به البيوت للكرام من الحاج والدار المكرمة دار صغيره يجدها الداخل الى الحلق المذكورة من يساره وهي مجدده البناء انفق في بناءها جمال الدين المذكورة اثره الكريم في هذا المكتوب نحو الالف دينار نفعه الله بما اسلفه من العمل الصالح وعن يمين الداخل الدار المباركة باب يدخل منه الى قبه كبيره بديعه البناء فيها مقعد النبي صلى الله عليه وسلم والصخرة التي كان اليها مستنده وعن يمينه موضع ابي بكر الصديق وعن ايمن ابي بكر موضع علي بن ابي طالب واستخره التي كان اليها مستندا هي داخل في الجدار كشبه

¹ رحلة ابن جبير، ص 53

² المرجع نفسه، ص 54

³ رحلة ابن جبير، ص 92

المحراب وفي هذه الدار كان اسلام عمر بن الخطاب ومنها ظهر اسلام على يده واعزه الله به¹

" يتحدث ابن خبير عن جمال الدين واثاره النسبية حيث يقول ولهذه البلدة مباركه حمأمان احد ما ينسب للفقيه المياهشي الاشياخ المخلفين بالحرم المكرم والثاني وهو الاكبر ينسب لشمال الدين شرفهما الله من الاثار الكريمة والصنائع الحميدة والمصانع المبنية في ذات الله المشيدة ما لم يسبقه احد اليه فيما سلف من الزمان ولا اكابر الخلفاء فضلا عن الوزراء فكان رحمه الله عليه وزير صاحب الموصل تمادى على هذه المقاصد السنيه المجملة على المنافع العامة للمسلمين في حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم اكثر من 15 سنة ولم يزل فيها باذلا أموالا لا تحصى في بناء ربايعي بمكة مسبله في طرق الخير والبر مؤبده محبسه واختطاط صهاريج للماء ووضع جباب في الطريق يستقر فيها ماء المطر الى تجديد اثار من البناء في الحرمين الكريمين وكان من اشرف افعاله انجلب الماء الى عرفات وقطع عليه العربية بني شعبه سكانه تلك النواحي المجلوب منها الماء بوظيفه من المال كبيره على ان لا يقطعوا الماء عن الحاج فلما توفي الروح رحمه الله عادوا الى عاداتهم الذميمة من قطعة²

" ومن المشاهد العظيمة نجد مشاهدا قبه بين الصفا والمروة تنسب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي وسطها بئر يقال انه كان يجلس فيه للحكم رضي الله عنه والصحيح في هذه القبه أنها قبه حفيده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبإيزاء ء داره المنسوبة اليه وفيها كان يجلس للحكم أياما توليه مكة كذلك حكى لنا احد اشياخنا الموثوقين ويقال ان البئر كانت في القديم فيها ولا بئر فيها الان لان دخلناها مسطحه وهي حافله السنعة³

الجوانب الاجتماعية:

¹المرجع نفسه، ص 145

²المرجع نفسه، ص 102

³المرجع نفسه، ص 92

الحياة الاجتماعية تتكون من عدة مظاهر ومنها طبقات المجتمع والاحتفالات والعادات والتقاليد والملابس والمواكب والأطعمة والأشربة الى غير ذلك من المظاهر

طبقات المجتمع

حكام الحجاز:

تولى حكم الحجاز الاشراف من ذرية الحسن بن علي في مكة المكرمة ومن ذرية الحسين بن علي في المدينة المنورة فقط وقد اشار ابن جبير في رحلته الى حاكم مكة المكرمة حيث يقول وفي عشاء يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر المذكور وهو الثاني من شهر اغسطس كان انفصالنا من جدة بعد ان ضمن الحجاج بعضهم بعض وثبتت اسمائهم في زمام عند قائد جدة علي بن موفق حاسما نفذ اليه ذلك من سلطانه صاحب مكة مكث بن عيسى المذكور وهذا الرجل مكث من الذرية حسب نوع علي رضوان الله عليهما لكنه ممن يعملوا غير صالح فليس من اهل سلفه الكريم رضي الله عنه

ونلاحظ في رحلة ابن بطوطة أيضا من حكام مكة المكرمة الاشراف من نسل الشريف ابي نمي عطيفه رميته ومقرها مكة المكرمة وقد ذكر عن دارهما في مكة المكرمة وتميز رمته بحسن السيرة في اهل مكة المكرمة حيث قال:

" وكانت أمانة مكة في عهد دخول اليها لشريفين الاجلين الأخوين أسد الدين رميته وسيف الدين عطيفه ابي الأمير ابي نمي بن ابي سعد بن علي بن قتاده الحسنين ورأيسه اكبر اكبرهما سنا ولكنه كان يقدم اسم عطيفه في الدعاء له بمكة لعدله مع الأولاد احمد وعجلان وهو أمير مكة في هذا العهد"¹

وتقي وسند وأم قاسم والعطيفة من الأولاد محمد ومسعود ومبارك فزار عطيفه عن يمين المروة ودار اخيه رميتها برباط الشاربين عند باب بني شيبه وتضرب الطبول على باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب من كل يوم

¹كيفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، جامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

" وقد اعتمد الاشراف على حرس يسمون بالحرابة ووصفوا بالنصوص أمتعته الحجاج بحيل وطرق عجيبة حيث قال ابن جبير عن هؤلاء الحرس"¹.

" ومن صنع الله الجميل لنا وفضله العميم علينا ان وصلنا الى هذه البلدة المكرمة فألفينا كل من بها من الحجاج المجأورين ممن قدم عهده فيها وطالما مقامه بها يتحدث عن جهة العجب بأمنها من الحرابة المتلصصين فيها على الحاج المختلسين ما بأيديهم والذين كانوا افة الحرم الشريف لا يقتل احد عن متاعه طرفه عين الا اختلس من يديه أو من وسطه بحيل عجيبة ولطافه غريبه فما منهم الا احد يد القميص فكف الله في هذا العام شهرهم الا القليل واطهر أمير البلد التجديد عليهم فتوقف شهرهم وبطيب هوائها في هذا العام وفتوري حصاره قيضها المعهود فيها وانكساره حده سمومها"²

هيكل على حكم ابن المسعود حيث قال كنت اسمع اسم ابن سعود عاهل العرب منذ زمن طويل فلما بدا يغزو الاشراف وعلى راسهم الحسين بن علي ملك الحجاز كنت اتتبع انباء النزاع بين الملكين العربيين دون ان اقف طويلا عندها فلما انتهى الأمر الى فرار الحسين والى قيامي على ابنه المقام ثم الى استقرار السلطات في الحجاز لابن سعود بدا الحديث عن هذا الفاتح النجدي لبلاد العرب يتردد في صحف الغرب والشرق وقد لقيت آنذاك غير واحد من الصحافيين المشهود لهم بالاتزان وبدقه الحكم عن الاشياء والاشخاص فما كان اشد عجبي حين سمعته من احدهم "فون جزيل" الالمانى المعروف مبالغة في الثناء على ابن السعود الى حد نحته اياه انه بسمرك الشرق هذا وكان فون فيزل قد لقي ابن سعود وتحدث اليه وعرفه مرأماً سياسته فلما اختلفت مصر والحجاز بسبب حادث محصل في سنة 1926 حين نظره أمير الحجم المصري ان يأمر بأطلاق الرصاص دفاعاً عن نفسه فيما قيل آنذاك بداءه الانباء ترد بان ابن سيعود ورحاله يقيمون بالحجاز نوعاً من الحكم لا يطيقه اهل السنة ولا غيره من المسلمين وان حكم الوهابيين بالحجاز سينتهي لذلك بعذور الاكثرين عن الحج وان حكومة الحجاز ستلقى من جراء ذلك شدة اي شدة.

¹ كيفيات الله حمداني، الحجاز في ادب الرحلة، دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

صفحة 332

² ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادرة، بيروت، ص 100

" لكن الحج استمر وبذات انباء جديده تغالب الانباء القديمة وتتغلب عليها فالحجاز قد اصبح مضرب المثل في الأمن بعد ان كان مضرباً المثل في الفوضى وبعد ان كان الحاج لا يأمن فيه على نفسه واهله ولا يأمن على ماله وطرق الحج قد بداء تمهد وتجري فيها السيارات بما يكفل راحه الحجاج وطمأنينتهم وقد اصبح الحج بسبب الأمن واصلاح الطرق ميسورا قليل المشقة بعد ان كانت المشقة والعسر وقد دعت حكومة الحجاز الصحفيين¹ في شتاء سنة 1930 الى حفل تتويج مالك عبد العزيز فعادوا يلهجون كلهم بالثناء على الأمن والنظام هناك وسالوا عن شدة الوهابيين في معاملته من لا يرخون ومن يتقنون فهونوا الأمر غايه التهوين وكذلك اختفت الانباء القديمة وجعل قصاد الحجاز يصورون الملك عبد العزيز بن سعود صوره خلافة تحببه الى النفس وتدعو الى الاعجاب به².

طبقة العلماء في الرحلات الحجازية:

اعط الرحالون أهمية كبرى العلماء اثناء رحلتهم وقد تحدث الرحالون عن مجالسهم وخدماتهم لا زاله البدع والمنكرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وممن تحدث عن علماء الحجاز منهم ابن بطوطة حيث قال:

" ومنهم الصالح خضر العجمي كثير الصوم وتلاوة والطواف والشيخ الصالح برهان الدين العجمي الواعظ كان ينصب له كرسي تجاه الكعبة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم باللسان فصيح وقلب خاشع يأخذ بمجامع القلوب والصالح المجهول برهان الدين ابراهيم

¹ محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، طبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة، 1119، ص 147

² المرجع نفسه، ص 148

المصري مقرئ مجيد ساكن رباط السدرة ويقصده اهل مصر والشام بصدقاتهم ويعلم الايتام كتاب الله تعالى ويقوم بمؤنهم وبكسوتهم¹

وفي مكان اخر ذكر عده الفقهاء والعلماء حيث قال:

" ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق ونجم الدين المذكور من اهل الفضل والاحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد القرشي من فضلاء مكة وكان ينوب عن القاضي نجم الدين بعد وفاه الفقه محمد بن عثمان الحنبلي ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان الزاهد ورع مبتلي بالوسواس رايته يتوضأ من بركه المدرسة المظفرين فيغسل ويكرر ولها مسح راسه اعاد مسحه مرات ثم لم يقنعه ذلك فغطس راسه في البركة وكان اذا اراد الصلاة ربما الأمام الشافعي فيقول نويت فيصلني من غيره وكان كثير الطواقي الاعتمار والذكر²

طبقة المهن في الرحلات الحجازية:

اشار ابن جبير الى اصحاب المهن حيث يقول:

"فيتصل بجدار هذا البلاط كله مصاطب تحت قسي حنايا يجلس فيها النساخون والمقرون وبعض اهل صنعت الخياطة فالحرم محقق بحلقات المدرسين واهل العلم وفي جدار البلاط الذي يقابله أيضا مصاطب تحت حنايا على تلك الصفة وهو البلاط الاخذ من الجنوب الى الشرق وسائل البلاطات تحت جدارها مصاطب دون حنايا عليها والبنيان فيها الان على اكمل ما يكون³

"وما بين الصفا والمروة مثل هو اليوم سوق حفيله بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائل المبيعات الطعمي والساعون لا يكادون يخلصون من كثره الزحأم وجوانب الباعة يمينا

¹كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

صفحه 331

²المرجع نفسه، ص 334

³ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادرة، بيروت، ص 68

وشمالا وما للبلد ذا يسوق منتظمة سواها الا البزازين والعطارين فهم عند باب بني نسيبه تحت السوق المذكورة وبمقربه تكاد تتصل به"¹

العادات والتقاليد لأهل الحجاز:

أخبرنا ابن جبير عن بعض العادات والتقاليد لأهل الحجاز مثل ضرب الطبول في أوقات الصلاة والتصافح حيث قال

" وفي تلك الليلة ملئ المسجد الحرام كله سراجا فتلالا نورا وعند ثبوت رؤيته الهلال عند الأمير أمر بضرب الطبول والدبابد والبوقان اشعارا بأنها ليلة الموسم"²

ولأبي هذه الجهات المشرقية كلها سيره حسنة عند مستهل لكل شهر من شهور العام يتصافحون ويهنئ بعضهم بعضا ويتغافرون ويدعو بعضهم لبعض لفعلهم في الاعياد هكذا دائما وتلك طريقه من الخير دافعه في النفوس تجدد الاخلاص وتستمد الرحمة من الله عز وجل بمصافحه المؤمنين بعضهم بعضا وبركه ما يتهادونه من الدعاء والجماعة رحمه ودعائه من الله بمكان"³

" وكذلك اخبرها ابن جابر عن عاده اهل الحجاز في شرب ماء زمزم حيث قال فيخرجوا من الليل سقى الحاج في قلال يسمونها الدوارق كل دورق منها ذو مقبض واحد وتثور بئر من رخام قد الصق بعضه ببعض الأمساكان لا تحيله الأيام وافرغ في اثنائيه الرصاص"⁴.

الأعياد والاحتفالات لأهل الحجاز:

" اشار ابن جبير الى الاعياد والاحتفالات التي يقيمونها اهل الحجاز حيث تحدث عن حفله لنسباء قال فيها من هذا الشهر المبارك فاذا كان اليوم 29 منه اخره للنساء خاصه فيظهر للنساء بمكة في ذلك اليوم احتفال عظيم فهو عندهم يوم زينتهم المشهور المستعد له"¹

¹المرجع نفسه، ص85

²المرجع نفسه، ص108

³المرجع نفسه، ص101-102

⁴المرجع نفسه، ص66

"وكذلك تحدث عن اعيادهم حيث قال وفي اثناء ذلك يلاقي الرجال بعضهم بعضا فيتصافحون ويتهادون الدعاء والغافر بينهم والنساء كذلك والكل منهم قد لابس افخر ثيابه واحتفل احتفالا اهل البلاد للأعياد وأما اهل البلد الأمين فهذا الموسم عيدهم له يعبئون وله يحتفلون وفي المباهاة فيه يتنافسون وله يعظمون وفيها تنفق اسواقهم ويقدمون النظر في ذلك والاستعداد له بأشهر² اهتم به وفادته الأمر الذي اثرت شهادته لواقع الاحداث وصف ابن بطوطة مظاهر الاحتفال بالليلة الرؤية خلال زيارته لقاضي مدينة ابيار في دلتا مصر اذ صودف ان الزيارة كانت يوم التاسع والعشرين من شهر شعبان يوم الركبة كما اسماء الرحالة اي يوم اقتراب هلال رمضان."

"ويذكر ابن بطوطة انه جرت العادة في هذا اليوم ان يجتمع فقهاء المدينة وأعيانها بعد العصر في دار القاضي ومن يتوجهون الى مكان مرتفع خارج المدينة مخصص لرؤيه الهلال وذلك في موكب ضخم يحفه الرجال والنساء والصبيان ثم يعودون الى المدينة بعد صلاة المغرب وبين ايديهم الشمعة والمشاعل والفوانيس ويوقد اهل الحوانيت بحوانيتهم الشمال ابتهاجا لحلول الشهر الكريم تحدث عن استعدادات اهل مكة المكرمة في استقبال الشهر الكريم قائلاً واذا اهل هلال رمضان تضرب طبول عند أمير مكة ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجيد الحصر تكثير الشمع والمشاعر حتى يتلأأ الحرم نورا وتتفرق الائمة فرقا هي الشافعية والزيدية والحنفية والحنبلية أما المالكية فيستمعون على اربعة من القراء ويجتهد كل فريق في قراءه القران واحياء ليالي رمضان"³.

الملابس:

"تحدث ابن جبير عن ملابس الخطيب حيث قال ثم يقبل الخطيب داخل على باب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقابل المقام في البلاط الاخر من الشرق الى الشمال لابساً ثوبا سوادا مرسوما بذهب ومتمما بعمامة سوداء مرسومه أيضا وعليه طبسان شرب رقي"⁴

¹المرجع نفسه، ص113

²المرجع نفسه، ص110

³ <https://aswatonline.com>

⁴ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادرة، بيروت، ص72

" والأمير في 24 من عمره وهو نائب الملك للحجاز كما ان اخاه الاكبر الأمير سعود ولي العهد نائب المالك في نجد وثيابه ثوب ابيض كالجلابية المصرية فوقها ستره جاكته رماديه عليها العباءة السوداء وهي دقيقة النسيج شفاقة على راسه الحرام والعقال"¹.

ومن هنا نقول ان اهل الحجاز يتميز لبسهم بالبساطة والرقى والنظافة.

الأطعمة والأشربة:

" تحدث ابن جبير عن الأطعمة التي عرفها اهل الحجاز حيث قال يستعدون للوصول الى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشره أيام فيشنعون بين النية في العمرة وجيزة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائل الحبوب الى اللوبياء الى ما دونها ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز فتجمع ميرتهم بين الطعام والفاكهة ويصلون في الاف من العدد رجلا وجمالا موقره بجميع ما ذكر فيرغدون معيش اهل البلد والمجاورين فيه يتقوتون ويدخرون وترخص الاسعار وتعم المرافق فيعد منها الناس ما يكفيهم لعينهم الى ميرا اخرى ولولا هذه الميرة لكان اهل مكة في شطف من العيش"²

" وكذلك تحدث المازني عن عادات الطعام والاكل عند اهل الحجاز حيث قال وغرفه الطعام كبسط ما تكون حجره مستطيله تسعة نحو مائة في وسطها مائده طويله ساذجة صفت اليها الكراسي الخيزران وادوات الاكل التامة والانيه كلها من طراز واحد والملاعق والسكاكين وما اليها من الفطار وقد تتأولها الطعام على الطريقة العربية وقضينا فيه اكثر من ساعه نتقق عليه بالحديث ولم يكن ثم نظام معين أو ترتيب معد للجلوس بل قاعده من شاء حيث شاء وقد احتفظت بقائمه الالوان وهي مجموعه على الاله الكاتبة وفي نشرها دفع لكثير من الأوهام الصبانية"³

الجوانب الثقافية:

¹ إبراهيم عبد القادر المازني، رحلة الى الحجاز، دون طبعة، كلمات عربية للترجمة و النشر، القاهرة، ص 51

² ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادرة، بيروت، ص 110

³ إبراهيم عبد القادر المازني، رحلة الى الحجاز، دون طبعة، كلمات عربية للترجمة و النشر، القاهرة، ص 52

لقد عاش على اراضي حجاز اقوام وجماعات وكانت لكل منهما ثقافته الخاصة به التي تميز بها وهذا لا يلغي التأثير والتأثير بين الثقافات فكان هناك الميدانيون الذين عاشوا خلال النصف الأول من الالف الثانية قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي الذين تركوا لنا عددا من الشواهد الأثرية كالفخار الذي انتشر في شمال غرب الجزيرة العربية في قرية وتيماء والبضاع والعلا وخريبة والماديات والحجر والمشخصات في مناطق اعالي الحجاب

" ثم يأتي من بعدهم عموديون القبائل التي كتبت بالخط المودي وليس قوم صالح عليه السلام الذين عاشوا خلال المدة الممتدة من الربع الأول من الالف الأول قاف ميم وحتى القرن الخامس ميلادي والذين انتشرت نقوشهم في مناطق متعددة من أرض الحجاز كالطائفة وتبوك والعلا وهناك الحيوانيون الذين حكموا شمال الحجاز ولتخادوا من الديدان في محافظه العلا عاصمه لمملكتهم"¹

ومن أهم مظاهر الحياة الثقافية لدى الشعوب في الحجاز نجد:

الكتابة:

لغة تميز الحجاز بكثرة النقوش والكتابات والرسوم الصخرية وانتشارها على أمتداد اراضي علاوة على تنوعها سواء من حيث الخطوط والاقلام أو حيث المضمون والمعاني مما يدل على التنوع الثقافي والحضاري الذي تميز به اقليم الحجاز ومن اهم هذه النقوش والكتابات فأكثرها انتشارا تلك المعروفة بالكتابات العربية الشمالية والتي تندرج تحتها التمويه ولنيطيه واللحياني والآرامية بالإضافة الى انتشار الكتابات العربية الجنوبية واللاتينية والإغريقية

"وهناك العديد من النقوش التي عبر عليها في مناطق متعددة من اراضي الحجاز وردت فيها الفاظ تتعلق بالكتابة والتعليم ومن تلك النقوش هذا النقش الذي وجد في جبل الأم جزاي الذي يقع في منطقه العلا النقس)

ع ب د ع ن و ن س ف ر ا س ل م

¹مصطفى سليمان، اثر الجغرافيا التاريخية على التكوين الثقافي في الحجاز قبل الإسلام، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد 18،

مارس، 2011، السعودية، ص 739

الترجمة: تحيات عبد عدنان المعلم أو الكاتب¹

وهذا يدل على انتشار الكتابة وجود الكتاب ولم تكن المعرفة بالكتابة مقصوره على الرجال فقط بل كانت بعض النساء.

الأدب:

عثر على أقدم نص شعري لشعل عربي فصيح في موقع معين عبادات النبطي في الصحراء النقب غير بعيد عن أطراف الحجاز الشمالية وهي عباره عن ابيات في صيدح المعبود وهو يشكل جزءا من نقش النبطي ثم يتحول للغة العربية مع انه يظل يستعمل خطا نبطي والابيات تأتي على النحو الآتي:

جرم ألهى برتيم إلهي صلّم لقبل عبتت الها

فيفعلوا لا فدا ولا اثرا فكن هنا يبيغنا الموت لا

ابغه فكن هنا أرد جرحولا يردنا

جرم ألهى كتب

فيرى سعد الدين ابو الحب ترجمه البيتين هكذا:

فيفعل لا فد ولا اثرا فكن هنا يبيغتنا

الموت لا ابغ من هنا اند جرح لا يردنا²

¹المرجع نفسه، ص 741

²مصطفى سليمان، اثر الجغرافيا التاريخية على التكوين الثقافي في الحجاز قبل الإسلام، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد 18،

مارس، 2011، السعودية، ص742

الأساطير والأمثال:

" بحسب كل مجتمع وثقافته فمعبودات البدو غير معبودات الحضار وقد نجد معبودا مشتركا بين تلك ولكن تختلف الغاية من عبادته فنجد لدى الموديين عددا من المعبودات والتي يختص كل منهما بصفه وغرض ومن أهمها "رضو" معبود النجدة وسيد الموت وهو يحدث الحياه البدوية التي كان يعيشها الموديين واعتمادهم على الغزو وهناك أيضا "تاجر" المعبود الذي يمثل سيد البائعين أو السوق وهو يشير الى أهمية التجار لدى سيمدين أما المدنيون سنجدهم متأثرين بجيرانهم الكنعانيين في عبادته هذه الثلاثي " أيل" الذي كان بمثابة المعبود الأب"¹

الفنون:

تحتل الفنون جزءا مهما في التراث الثقافي الانساني وتعد من الوانه المتعة لأنها تعبير عن الذاتية وليس تعبيراً عن حاجة الانسان متطلبات حياته رغم ان بعض العلماء يعدون الفن ضروري لحياته للإنسان كالماء والطعام فالإنسان يشكل فيها المواد تعبر عن فكره أو يترجم احساسه أو ما يراه من صور واشكال جسدها في اعماله

" وفي معظم المجتمعات القديمة الكبرى كانت تعرف هوية الانسان من خلال اشكال الفنية التعبيرية التي تدل عليه كما في نماذج ملابسه وطرزها وزخرفه الجسم وتندرج تحت مظلة الفنون ما ينتجه الابداع الانسان الخلاق على مختلف الأصعدة من رسم ونحت وفنون للعمارة وموسيقى وغيرها وقد عرف سكان الحجاز تلك الفنون وتركوا لنا شواهد بذل على ذوقهم الرفاعي فعل صعيد الرسم فهناك الرسومات الصخرية والتي يمكن تعريفها بأنها تلك الفنون المصورة على الصخور التي تركها البشر حتى الاف السنين وصوروا فيها انفسهم وعبروا فيها عن حياتهم اليومية وهي تعد من أقدم صور الابداع الانساني وتتنوع من حيث النوع والموضوع والدلالات فهناك الرسوم الأدمية والحيوانية والرسوم التي تدل على النشاطات

¹المرجع نفسه، ص 744

اليومية والعقائد والجوانب الدينية وتنتشر على أمتداد اراضي الحجاز وتكثر في بعض المناطق وتكاد تنعدم في اخرى ومن اهم مواقع الرسومات الصخرية في الحجاز الطائف وعدد من المواقع المتفرقة حول المدينة المنورة مثل وادي العقيق وادي الحليفة وكلاهما يقعان جنوب محافظه المدينة المنورة¹

وفيما يتعلق بالنحت وفنون العمارة فقد عرفت لدى سكان الحجاز وبذات القسم الشمالي وتميز الانباط بذلك وتركوا لنا ما يدل على تميزهم ورقبهم في هذا المجال².

المبحث الثالث: الصورة الأدبية في الرحلة الحجازية

لا شك ان الصورة الفنية من أهم ركائز الأسلوب الأدبي في الشعر والنثر على حد سواء ذلك أن الصورة تجديد فني لقدره الأديب الخيالية على ايجاد العلاقات بين الأشياء وتقديمها في لوحة فنية تستحث المتلقي على التعليق في أبوابها وتدعو الاستماع والدهشة.

وإذا تحدثنا على الرحلات الحجازية فعلي أن أشير الى هؤلاء الرحالة الذين هم مختلفون ومتفاوتون في قدراتهم على توظيف الصورة الأدبية في أعمالهم الرحلين.

القدرة على التركيز وتكثيف الصورة من جهة ورصد تفاصيلها من جهة أخرى وبثها مشاعر وآهات الذات من جهة ثالثة

ان الرحلات الحجازية كرحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة ورحلة ابن رشيد وغيرها من النماذج النوعية من هذا الفن في الأدب العربي فان تزامم عنصر الكتابة الرحلين ونقد مجالات انتاجه لم يقلل مثل ميزته النوعية أيضا مما يقوم شاهدا على انتاج العصر لهذا الصيغ من التأليف وازدهار كتابته

¹مصطفى سليمان، اثر الجغرافيا التاريخية على التكوين الثقافي في الحجاز قبل الإسلام، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد 18،

مارس، 2011، السعودية، ص745

²المرجع نفسه، ص 746

والرحلة الحجازية وانت تباعدت اشكالها وتنوعت احجامها وتصورها تبقى رهينه مجموعه من الثوابت لتعطيها صفة الانتماء الى صفر الرحلة الحجازية بمميزاته وخصوصيته ولتمثل بها تلك القواسم المشاركة التي تلتقي بها تلك الرحلة مع مثيلتها في الصمت رغم تباعد زمانها وتباين اهتمامات الكتاب لها وتفاوت طريقه الكتابة والقدرة على الصياغة الأدبية فيها

" كما ذكرت ان الرحالين دون رحلاتهم بأساليبهم ومناهجهم الخاصة فبعضهم اختاروا اسلوب الرؤية وبعضهم اختاروا اسلوب القصة وبعضهم اختاروا اسلوب نقل الاخبار وهكذا بعض الرحلات ادبيه وعلميه وبعض الرحلات بلغة محلية"¹

رغم تعدد وتنوع الاساليب الا ان الهدف ينصب في غاية واحده وهو النقل اخبار عن البلد المشهود الى المتلقي بطريقه سلسه وبرسم بارع وطريقه جيده لكي يتمتع القارئ ومن الصور الأدبية في الرحلات الحجازية قد يلجا الكاتب الى ثلاث نقاط مهمه من بينها: الاسلوب- اللغة والخيال.

الأسلوب:

قد نذكر رحله ابن جبير وفي هذه الاسطر اعرض الاسلوب والرسم الوصفي للرحالة وتحدث أولاً عن رحله ايجابيه الذي كتب رحلته على شكل يوميات بلغه سهله وبسيطة عباراتها مفصله لا ثرثرة فيها ولا استطرادات أو التكرارات وطريقته في السرد محببه الى النفس تتسم عباراته بجمال التركيب وحلاوة البيان وهو يجسد صناعه السجع فيمضي على النص موسيقى جذابه تشجع على مداومة المطالعة ومعظم السمع يأتيك بلا تكلف ولا اضطرارا الا في القليل حيث يبدو الافعال في مثل يصف أحد خطباء الحرم الشريف في مكة

"وفي اثناء ذلك تم شقه سهأنا المسائل فيتلقاها بمحض من الجوانب السريع الباليه فتحار له الالباب ويملك كل نفس منهما الاعراب والاعجاب فكأنما هو وحي يوحى"

¹كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان، صفحه

وقد سكن البحر في عبارته مشات بألفاظ قرآنية وكثيرا ما فعل ذلك حيث قال: " فعاد كأنه صرح مرضا من قوارير ولم يبقى للجهات الأربعة نفس يتسم فبقينا لاعبين على اللوحة ماء تخاله العين تشبيكه لجين كان تعول بين سماءين"

فتر ابن جبير انه رسم اهرام مصدر سما بارعا حتى يحس القارئ مشاهده الاهرام وهو يقرا النص لقوله:

"وبمقربه من هذه القنطرة المحدثه للأهرام القديمة المعجزة البناء الغربية المظهر المربعة الشكل كأنها القباب قد قامت في جو السماء ولا سيم الاثنان منها يغص الجو بهما سماوا في سعه الواحدة منها من احد اركانه الركن الثاني 300 خطوه و 66 خطوه قد اقيمت من الصخور العظام المنحوتة وركبت تركيبا هائلا بديع الالتصاق دون ان يتخللها ما يعين على التصاقها محده الاطراف في رؤيه العين وربما أمكن الصعود اليها على خطر ومشقه فتلقى اطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب رام اهل الأرض نقص بنائها لأعجز حرم ذلك"¹

أيضا كان ابن بطوطة في رحلته استخدم اسلوبه الخاص لنقل كل ما كان يجول في باله وما ابصرت عينه ومجال في مخيلته واستخدمه الاسلوب المناسب لكي يوصل الفكرة أو الرحلة المتلقي لأقناعه وأمتاعه وتشبيح رصيده المعلوماتناحظ ان بطوطة في رسم الصورة المناطق والمناظر الطبيعية وأقدم بعض النماذج من رحلته لمعرفة بانه كيف يرسم صورته جميله للمناطق والاشياء المختلفة وهو في هذه النماذج رسم صورته بين بيانيه لعربيه تجراها الجياد فهو يقول بذلك

¹كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

" وما هي عجلات تكون الواحد منهن اربعة بكرات كبار ومنها ما يجره فرسان ومنها ما يجره اكثر من ذلك وتجرها أيضا البقر والجمال على حال العربة في نقلها وخفتها والذي يخرم العربة يركب احدى الافراس التي تجرها ويكون عليه ربح وفي يده سوط يحركها للمشى وعود كبير يصوبها به اذا هاجس عن القصة ويجعل على العربة شبه قبه من قضبان خشبيه مما يوطئ بعضها الى بعض بصبور جل رقيق وهي حقيقه الحمل وتسكن بالصوف أو الملقى ويكون فيها طيقان مشبكه غير الذي بداخلها الناس ولا يرونه"¹

ويصور لنا مشهد الكعبة مشرفه حيث قال:

ودخلنا البيت الحرام الشريف الذي من دخله كان أمنا من باب بني شيبه وشاهدنا الكعبة الشريفة زادها الله العظيم وهيئ العروس تجلى على منصة الجلال وترفل في برود الجمال مخفوقه بوفود الرحمن مصره الى الجنة الرضوان ومن عجائب صنع الله تعالى انه طبع القلوب على النزوع الى هذه الشواهد المنيفة والشوق الى المثل بمظاهرها الشريفة وجعل حبها متمكنا في القلوب فلا يحلها احد الا اخذت بمجامع قلبه فريقها الا اسفا لفراقها مثلها لعباده عنها شديد الحنين اليها نأويا التكرار والوفاء عليها فأرضها المباركة تعين الاعين ومحبتها حشو القلوب حكمه من الله بالغه و وتصديقا لدعوه خليله عليه السلام"

كما ترى هنا ان ابن بطوطة له طريقه في سد رحلته بأسلوبه الخاص.

بعد قراءه الرحلة الحجازية يمكننا القول بان شكيب ارسلان كان ناقلا لأقوال ادباء واللغويون وليس فقط ناقلا بل يشرح الاقوال مبينا رايه كما يشرح قول العمراني

وأما قول العمراني ان في بردها كبيرين لزبيدة عظمتين يقال لموضعهما فيقول فأظنه يعني بهما الوعظ والوعي الأول بفتح السكون والثاني بالتصغير وذلك انه لا يوجد في سفوح بردي مياه جاريه تسقي الا في وسط والواط الأول جار الان في وقف الاشراف ذوي زيد والثاني يختص ذريه الشريف عون الرقيق من ذان يعون ولقد ولد ذكر الوهط في معجم البلدان قال

¹كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان، صفحه

ياقوت والحوط والمكان المطمئن المستوى ينبت العادات والسمر والطمع وبه سمي الوسط وهو مال كان العمرانيون العاصي بالطائف وهو الكرم كان على الف الف اي مليون خشبه تشري كل خشبيه بدرهم قال الاعرابي عرش عمر بن العاص بالوهط الف الف عود كرم على الف الف خشبه ابتاع كل خشبه بدرهم"....

فوجدنا في فقره واحده انه يشرح قول العمراني براهيه ثم يأتي رايه ياقوت الحمودين ثم يأتي قول ابن الاعرابي ونجد هذا الاسلوب طيلة رحلته حتى ولو قدم صوره الأماكن فبين فمنها اراد الرحالين وجغرافيين واللغويين وإذا وجد فيه بشيء من الشعر فلا يتركه واثناء وقوف عرف رسم لنا شكيب ارسلان روعه وجمال موقف عرفت بأسلوب جميل حيث قال:

"ما انسى ولا انسى منظم عرفات ليلا فهو من ابهج ما ارتسم في خاطر من مناظر هذه الدنيا الفانية مع كثره ما شاهدت في حياتي وما تغلبت في العواصم فاقد اقبلنا عليها غلسا اثنين من منى فكانت اشبه بسما في كواكبها وطرائقها منها بسهولة وهضام في خيانتها وقبابها المرعوبة ومصايبها المعلقة ونيرانها المشبوب فكان منظم قيد النواظر لا يشبع منه الرء تطلعا ولا يزداد به الا ابتهاجا وليست عرفات في النهار باقل حسنا وجلال في تموج جمودها وتراث قبابها ولسيم في مناظر الخشوع التي تأخذ بالألباب ومسأمع الأدعية التي ليس بينهم وبين الله حجاب¹"

وفي رحمه العيد اختار اسلوب القصة والرواية بالإضافة الى ذلك انه يورد بشكل قصه والرواية والتاريخ الاسلامي كما قال عن مقام ابراهيم

"والمقام حجر فيه اثر قدمي ابراهيم وقف عليه وهو بيني الكعبة فساخت فيه قدماه وقيل انما وقف عليه جين اذن من الناس بالحج فتطأول حتى على الجبال واشرف على ما تحته فنأدى ايها الناس اجيب ربكم فليل غير هذا مما هو مسطور والأول هو الصحيح حسبما يأتي نكره من حديث البخاري

¹كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

وسال ابو سعيد الخضري عبد الله بن سلام عن الاثر الذي في مقام فقال كانت الحجارة وعلى ما هي عليه الان الا ان الله تعالى ان يجعل المقام ايه من آياته وتقدم قول قتاده ذكر لنا بعض من رأى اثاره واصابعه"

ويسرد حكاية جهل الحجاج عن قبة زمزم حيث قال:

"ولم ادخل قبة الزمزمة لكثرة الازدحام لما كنت اعز من عليه من الإقامة فأملت التشفي منها ومن غيرها في وقت الفراغ وخفه الزحام وقدرت ما جرى القدر بغيره وليس الا ما شاء الله وقد وقفت عليها مرارا فلم اجد مدخلا من كثره الخلفي وافراط الزحام والذي يكون بها وبغيرها من المدافعة وتكلف ما لم يرد به شرعا وتعمل ما ليس له اصلا وقديما شك بذلك قال قتاده في قوله: "واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى"، انما أمر وان يصلوا عنده ولم يؤمر بمسحه ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفه الأمم قبلها"¹

لقد تحدثنا فيما سبق عن الاسلوب التي اتبعه العديد من الرحالة في تدوين رحلاتهم كان هناك تفاوت وتعبيرا من كاتب الى اخر بهدف تشبيح رغبات المتلقي

اللغة:

كما كان هناك اسلوب ولغة لكل أداب أو كاتب أو رجال وقد نتوسع في هذا المجال من الأدب فيما يلي:

اللغة كما الاسلوب في حضور في العصور الأدبية للرحالة في الحجاز نجد أيضا انهم كانوا يدبرون ويخبرون عما كان بلغه واضحة سهله خاليه من العيوب وبسيطة يسهل على المتلقي فهم محتوى المعنى وقد تم ذلك عن طريق استخدام الصور البيانية من سجع وتشبيهه وطباق..... ومن بين الرحالة نجد ابن جبير الذي باديته تعرف عن فصاحة رحلته وبلاغه علامة وفي بعض الاحيان يستخدم نوعا من السجد في نصوص رحلته كما هو يتحدث الان مدينة السلام ببغداد حيث يقول:

¹كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، جامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم الا من يتصنعوا بالتواضع رياء ويذهب من نفس عجا وكبرياء
يتردون الغرباء ويظهرون لمن دونهم الانفة ويستصغرون عما سواهم الأحاديث والابناء"

"ودخلنا مكة حرسها الله في ساعه الأولى من يوم الخميس الثالث عشر لربيع المذكور وهو
الرابع من شهر اغسطس على باب العمرة وكان اسرائنا تلك الليلة المذكورة القى على
البسيطة شعاعه والليل قد كشف عنا قناعه والاصوات تصل الاذان بتلبيه والأدعية فيما
كانت في الحسن فهي عروس ليالي العمر وبكينيات الدهر"¹

كما نعرف ان حسين هيكل اديب وشعر ممتاز وهنا أود ان أقدم نموذج من رحلته في "منزل
الوحي" لكي نعرف مكانه بلاغيا وادبيا لرحلته

محمد حسين هيكل يصف بيئته الباخرة بأسلوب ادب بليغ حيث قال:

"وشغلت بخليج السويس ومياها وأمواجه حتى انحدرت الشمس الى مغربها ولما تناولنا طعام
العشاء اسرعت الى مخدعي علي اجد في النوم ما يعوضني عن مجهود نهاري وبعض ما
يعوضني عن مجهود الأيام التي سبقت واستيقظت مع الصبح واستنشقت هواء البحر ما ارقه
واعذبه واصحه وشكرت الله انعمه وانا في خلوه مبكره فوق سطح الباخرة اشهد شواطئ خليج
السويس الذي لم تزل قربه منا فلما ان يقظه النهار ان تجمع اصحابي معي كي نتبادل من
الحديث اطرافه الفيتي في رفته لم الفى منها احدا فيها سبق من اسفار وان يكن منهم من
سأم من قبل الى أمريكا وأوروبا وان يكن منهم من يقيم في باريس أكثر وقته"²

كما اقتبس العديد من الرحلة الادباء من القرآن الكريم والأحاديث النبوية لتدعيم وتقويه
المعاني

¹كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان، صفحه

²كفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه الوطنيه للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

لقد كانت لغتهم بسيطة سهلة الالفاظ لا يوجد تعقيد في الكلمات وحتى المعنى لأنهم استعملوا السرد والوصف لا يصل الفكرة للمتلقي وجعله يعيش الرحلة كأنه ذهب اليها انما يجدل فيها بمخيلته.

الخيال:

لقد لجا بعض الرحالة والادباء في رحلاتهم الحجازية الى ما يسمى بالخيال لان بواسطة هذا العنصر الهمهم بما يسمى بالأبداع وابصار المخيلة ومن هنا يمكن طرح الاشكال الآتي: كيف يتشكل التخيل داخل النصوص الناقلة لتجربه واقعيه شخصيه؟

" وعلى هذا الأساس تم في هذه الدراسة معالجه الخيال ولا بد لكل رحله مكتوبه سفر حقيقي وفعلي ولا يمكن تصور كتابه رحلته دون رحله الا في الرحالة الخيالية كرساله الغفران لابي العلا المعري ورساله التوابع والزوابع لابن شهيد والتوهم للحارثي المحابيس وان معنى الرحلة كتابة"¹

" ان هذه طبيعة الغنية للكتابة الرحلين جعل الدراسة تتجه اتجاهات مختلفة تبعا لاهتمام الدارس"²

¹ جميلة روبايش، أدب الرحلة في المغرب العربي، دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 05

² المرجع نفسه، ص 13

" والابتكار والتجديد الذي يتبع من حسن التخيل والرحالة سواء العرب أو الغرب لم يتكفوا بنقل الحقيقة والواقع بل تمادى فكره ومال الى الخيال التشويق والاشباع رغباتهم وأمتاع القارئ وهذا ما نكتبه في رحله العياشي "ماء المواد" حيث كان بارعا في تأسيس سرديه على اختيارات استراتيجية واضحة منذ عتبه العنوان وعليه فان التعجيب والاعراب اهم العناصر المبنية لنص لا جدال في ادبيته ونسجه سوى المتعة بلحمه الإفادة ولعل هذا ما جعلنا نميط النقاب عن مكره تلك الافادات من خلال الكشف عن بناء النص المرهلي وطاقتة الخيالية المدهشة لقد استطاع هذا النص الفاتن بتنوعاته سرديه وانتقاصاه لدائرة الخيال ان يوسع من دائرة الحس ويستنفذ مداه عبر تأسيس مشاهداته على بنيه الخطاب والعجائب والخيال كل ذلك من اجل ضمان المشاركة الوجدانية والوجودية على حد سواء وفي هذا توسيع للدائرة الاقناع التي تنقل المنتقل من لحظه الدهشة الى ملكوت العبرة¹"

روحانية الشعر وعرفانيته:

الدكتور عبد الله بأشراحي مجموعته تضم 40 قصيده من شعر العمودي مسبوقه بتحية تقديم شاعر نبيل كتبها الدكتور ناصر الدين الاسد والتي رأى فيها ان عبد الله باش راجلي شاعر يعطي شعره بسخاء من دون عاطفته ومن ذات فكره وخياله فيبادله شعره عطاء بعطاء وسخاء فينسب بين جينات هذا الديوان سلالا لا تكلف فيه ان عبد الله بأشراحي جيل شاعر مبدع قادر على تصوير ما يشعر به من الم يقضي مفقته اذا ما اصابت حوادث الزمان اهله اصطفائه واصحابه لفت لعباد الانتباه الى استخدام شواذ البحر البسيط الذي سماه كما يقول ابو العلاء المعري "الرجز" يقول العبادي وقد استدعت هذه القصيدة اهتمام لوزنها الذي لم يتطرق اليه شعر قط من شعراء العصر الحديث

قل للدموع ففيفا لا صبر خير وفي

الفان ضمهما نبض من شغفي

¹ <https://www.qsjp-cerist.dz>

"ثم يأتي الشاعر بأشراجي فيكتب قصيده رثائية ويختار لها هذا الوزن المجهول ويأتي مزيدا فالشاهد عبد الله بأشراجي يؤلف النغم ويحس به وأدراك فيأتي وقعه في السمع جميلا بديعا

ويحمل الجرس الموسيقي وفي تقديمه اكثر احد العلامة علي العبادي ان في شعر بشراجي فيضار روحانيا يتجلى لنا والشواهد الروحانية في الشعر كثيره لا يعدها حصر هي متفرقه في جوانبهن التي بلغت 22 ديوانا منذ بدا هذا الشاعر المكي الكندي يتنفس الشعر ليعبر عما يدور في خاطره فيصور لنا بشعره ما يقع تحت حسن وخنقان نفسه فيأتي لنا بالسحر الحلال والشاعر عبد الله هو مرآة نفسه ومناره عصره وشعره هو شعر بجماله وخصاله ومجمع الوزن والموسيقى¹"

شعر المدائح مكة المكرمة:

يقول الشاعر محمد الفقي:

شججانا منك يا مَكَّة ما يُشجى المحبين!

فقد كُنْتَ لنا الدُّنيا

كما كُنْتَ لنا الدِّينا!

وكنْتَ المَرْبَعِ الشَّامِخِ

يُرْشِدُنَا وَيَهْدِينَا

وكنْتَ الدَّارَةَ الشَّمَاءِ

تُكْرِمُنَا وتُؤْوِينَا!

وكنْتَ الرُّوضَةَ العَنَاءِ

¹ عبد الله بأشراجيل، البرق الحجازي، دار العلم للملايين، بيروت، 2008

تُلْهِمُنَا وَتُعَلِّمُنَا!

فَمَا أَغْلَاكَ يَا مَكَّةُ أَنْجَبْتَ الْمَيَّامِينَا!

وَمَا أَحْلَاكَ يَا مَكَّةَ أَحْلَا الْقَرَابِين!

نُقَدِّمُهَا لِمَجْدِ اللَّهِ

يُسْعِدُنَا وَيُذْنِبُنَا!

أَيَا مَوْطِنَ مِيلَادِي

لَقَدْ شَرَّفْتِ مِيلَادِي!

كَأَنِّي وَأَنَا النُّطْفَةُ

كُوشِفْتُ بِأَعْيَادِي!

وَكَانَ صِبَايَ تَغْرِيداً

كَأَنِّي الْبُلْبُلُ الشَّادِي!

يَرَى فِي الرَّوْضِ وَالغُدْرَانِ

مَا يَنْشُدُهُ الصَّادِي!

وَمَا كَانَتْ سِوَى الْأَقْدَاسِ

أَوْدَعَهَا بِهَا الْهَادِي!

فَسُبْحَانَ الَّذِي كَرَّمَ مِنْهَا الطَّوْدَ وَالْوَادِي!

فَكَأَنَّ سَادَةَ الْأَرْضِ

بأغوارٍ وأنجادٍ!

فَهَلِّلْ يا صِبَايَ الغَضِّ

أَنْتَ سَلِيلَ أمجادٍ!

وكانَ شَبَابِي المَجْدُودُ

بينَ ظِلَالِها يَنُمُو!

ويَمْرَحُ بَيْنَ أترابِ

شَمائِلِهِم هي الغُنى!

فَكُلُّ سِماتِها شَمَمٌ

وَكُلُّ لِداتِها شُمَّ!

هي الأم التي احتَضَنْتُ

فبُورِكَتِ الندى. الأم!

فَلَيْسَ لَنَا بِها هَمٌّ

سِواها فهي الهَمُّ!

يُزِيدُ لها حياةَ المَجْدِ

وهي المَجْدُ والكَرَمُ!

سَقَتْها السُّحْبُ

ما يَخْضِرُّ منه القاعُ والأَكَمُّ!

فما أَكْرَمَ ما أَشَدَّتْهُ

ما يَسْمُو به القلم¹!

أروع ما قيل في مكة:

يقول الشاعر حسان بن ثابت:

نَوَى بِمَكَّةَ بِضَعِ عَشْرَةَ حِجَّةً

يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى خَلِيلاً مُؤَاتِيَا

وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ

فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا

فَلَمَّا أَتَانَا وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى

فَأَصْبَحَ مَسْرُوراً بِطَيْبَةِ رَاضِيَا

وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى عِدَاوَةَ ظَالِمِ

قَرِيبٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا

بَدَّلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلِّ مَالِنَا

وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالتَّأْسِيَا

نُحَارِبُ مَنْ عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ

جَمَعاً وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصَافِيَا

¹ <https://mawdo3.com>

وَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيًا¹

كما يقول ابن جبير في مدحه لمكة:

فعاد شبابك بعد الهرم

بلغت المنى وحلت الحرم

وشكراً لمن شكره يلتزم

فأهلاً بمكة أهلاً بها

و لما رأى الكعبة قال:

بمكة والنور بادٍ عليه

بدت لي أعلام بيت الهدى

وأهديت قلبي هدياً إليه

فأحرمت شوقاً له بالهوى

ويقول:

وحطّ عن النفس أوزارها²

هنيئاً لمن حج بيت الهدى

شعر المدائح للمدينة المنورة طيبة:

لقد مدح العديد من الرحالة بصفه خاصه والشعراء والادباء بصفه عامه المدينة المنورة لان المدينة كانت ملجا للمسلمين شعر ما قيل في المدينة من الشعر بتشويق اليها وغير ذلك قال عبد الله بن عامر بن كريز ركب البحر غائبا فاشتاق رفيقا له الى المدينة فقال:

تَهَادَى بِنَا فَوْقَ ذِي أُجَجٍ خُضِرِ

كَي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الْفُلْكَ قَدْ مَضَتْ

لِمِصْرٍ وَهَيْهَاتَ الْمَدِينَةُ مِنْ مِصْرٍ

وَحَنَّ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَنَّهُ

¹ <https://mawdoo3.com>

² عبد الله بن حمد الحفيل، صورة من أدب الرحلات إلى الحرمين الشؤيفين، الطبعة الأولى، مكتبة التوبة، المملكة السعودية،

1428هـ، 2007م، ص 28

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبِكْ عَيْنُكَ إِنَّمَا

تَقَرُّ قَرَارًا مِنْ جَهَنَّمَ فِي الْبَحْرِ

قال أبو يحيى وقال ابن أبي عاصب بتشوقنا المدينة وهو بالعراق:

تَطَّوَلْ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ

عَلَيَّ بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ يَطْوُلُ

فَهَلْ لِي إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَمَنْ بِهِ

بِعَافِيَةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ سَبِيلُ

فتشفى حزازات وتقنع أنفس،

ويشفى هوى، بين الضلوع، دخيل

إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنِكَ مُرْسَلٌ

فَرِيحُ الصَّبَا مَنِّي إِلَيْكَ رَسُولٌ

حدثني مصعب بن عبد الله بن مصعب قال قالت أمراه لجدة الأشجع يا جهاء انطلق بنا ننزل المدينة حتى تفرض وتقيم بها فاقبل بولده وبابله لبيعها فلما أوفى على الحرة وأشرف عن المدينة تركت ابي له فجعل بدورها نحو المدينة وتأبى فاقبل على امراته فقال ما جعل هذه الإبل انزع الى أوطانها منا نحن أحق بالحنين منها انت طالق ان لم ترجعي وفعل الله بك وزدها ثم خلف وقال:

أَلْتِ أَنْيَسَهُ دَعِ بِلَادَكَ وَالْتَمِسِ

دَارًا بِطَيْبَةِ رَبَّةِ الْإِطَامِ

تَكْتُبُ عِيَالَكَ فِي الْعَطَاءِ وَتَفْتَرِضُ

وَكَذَاكَ يَفْعَلُ حَازِمُ الْأَقْوَامِ

فَهَمَمْتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَيْلَ لِقَاحِنَا

بِلَوَى عُنَيْرَةٍ أَوْ بِقُفِّ بَشَامِ

إِذْ هُنَّ عَن حَسْبِي مَذَاوِدُ كُلَّمَا

نَزَلَ الظَّلَامُ بِعُصْبَةِ أَعْتَامِ

إِنَّ الْمَدِينَةَ لَا مَدِينَةَ فَالزَّمِي

حَقْفَ السِّنَادِ وَقُبَّةَ الْأَرْجَامِ

مدائح الرسول الأعظم:

لقد مدح العديد والكثير من الشعراء خير خلق الله نبي محمد صلى الله عليه وسلم مبينا فضله على العالمين وعلى توسيع الاسلام وتثبيت الايمان

وفي هذه القصيدة همزيه في مدح خير البرية للأديب الفاضل الشيخ عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز بن عبد السلام المعروف بالزمزمي 900- 976 هـ التي عرض بها همزيه رحمهم الله

قال مؤلفها: نظمتها في شعر رجب الحرام عام اربعه واربعين وتسعمئة وانشدتها في حضره الشريفه النبويه ليله الجمعة السابع بالفتح المبين لقولي فيها ولهذا انظمي على الفتح جاء وزال عيني بركتمها الشيء الذي الحرب وبعض اشياءه اتعب وارجو ببركته صلى الله عليه وسلم ذهاب جميع المتاعب وبلوغ المارب

الأمام العلامة عبد العزيز الزمزمي رحمه الله عليه:

العون منها الصبّاح اضاء	أم بروق على التفّا تترأى
أم بدور تبلجت أم شمس	أشرقت مي سنا قباب قباء
ما رأّت قبلها العيون شمساً	ضوءها ينفع العيون جلاء
حبذا ذلك الجلاء لُطْرَفِ	خفته بالنوى خشي أقداء
حبذا ذلك الجلاء لقلب	وجه مرأته أمتلى أصداء
يا اخا الشوق كيف نارك تخبو	بعدما صحبت من هواك الهواء
لا تخل دمع عينك برقي	طول ما خلت للذخير ارتقاء
ان تقومت ان وجدك يهدى	لا اري للهدى اليك اهتداء
حسبك الحب مذكر ا عهد سلمى	ان يُسمك النوى لسلمى انتساء

ورعى الله ليلةً فزرتُ لما	زورت في الكرى الزوراء
يالها من زيارةٍ كم اثارث	فيك شوقا الي اللوى والتواء
ذكرك الطيف يقظة كان حلماً	لك تفسيره أتى اعفاء
نعم طيفاً مبشراً لآح ليلاً	صبحه مسفراً و القى الرداءة
شط من دارك المراد صباحاً. و	تداني منها المراد مساء .
درت قبل الرؤان ربع المصلى.	واحتلت الانوار والاضواء
هذه للمنى مخابل صدق	خولت عطف حدسها الخيلاء
عللاني لعل شأمي	ان يصبح الحديث يروي الشفاء
ان تنجز الوعود وترجو	لديون عند الزمان اقتضاء
ربما حقق الظنون حنين	بعد مظل ولفتوة فاء
يا سميري أما نظرت الى البر	ق على الابرقين كيف استداد؟
هل ترى ما رأى وما كنت ادعو	قط من يوم شورك الآراء
ان قلبي مكدر وهوثار	بالضال ا يمل منها السواء
يعد العهد من معاهد سلع	يا سميري فقرب الأنضاء
يسري بها في منازل طرف قلبي	شأم في أفقها السنا والسنا
واترك الماء والكلام الرطبة عنها	ان اتيت الجموم والخضراء
ان في مدمعي الزي ينبت العش	ب لها عن كليهما الغناء

فاظ راحك الانوار والانواء	ضيق لها الروضة التي اخوض فيها
حين تسري ضمانه خمضاء	حسبها الوصف سائقا ودليلا
تنتجع للباقي مرعى وماء	لسقاها ولا رعى الله ان لم
اذ رأيتني ذلك الحمي والغناء	هي لا سبيل عليها
ق فهاجت انفاسها الفتعاء	لفهمنا سموم موقده الشو
بارق بات يقدر البرقاء	ظل عنها الضلال وحتى هداها
واسع القاع ي لأولى وغناء	قصوره في الشورى خطاه ذاق عنها
نحو وصغانين تخطي الظلمة	وعدت تركب تعافي عسغن
من مذيقتها وفضاء ¹	واستعادت من العقاب فالفت

البوصيري اجاد في المدح لكنه اساء في المعتقد حيث غلا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتوسل به واتى بكلام مما قال:

وَأَرْسَلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ	أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكَةٌ
كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ	لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ النَّفْوَ بِسَيِّدِهِمْ
عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمِ	حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا
وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ	وَقِيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَبِّتِهِ

¹ خالد عبد الرؤوف، الفتح المبين في مدح سيد المرسلين (قصيدة همزية في مدح خير البرية)، ص 52

"وأيضاً الشاعر اليمني البردوني بحيث نظم قصيدته للرسول صلى الله عليه وسلم من اعظم ما سمعت في حياتي:

وحيأ و أفضت إلى الدنيا بأسرار	بشرى من الغيب ألفت في فم الغار
و أعلنت في الربى ميلاد أنوار	بشرى النبوة طافت كالشذا سحراً
تحت السكينة من دارٍ إلى دارٍ	و شقت الصمت و الأنسام تحملها
و هزت الفجر إيداناً بإسفار	و هذدت " مكة " الوسنى أناملها
تاريخها فجر أجيالٍ و أدهار	تدافع الفجر في الدنيا يزف إلى
آيات بشرى و إيماءات إنذار ¹	واستقبل الفتح طفلاً في تبسمه

¹عائض القرني، أجمل ما قيل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ص 165

الختمة

الخاتمة:

بعد الدراسة التي أجريناها الملمة بالمدينة في أدب الرحلات، رحلات الحج الى البقاع المقدسة نموذجاً، توصلنا الى مجموعة من النقاط نجلها فيما بعد عرفنا في الصفحات السابقة أخبار الرحالة العرب منهم والغرب، ظهر لنا مجهودهم بين طيات مؤلفاتهم، وذلك بتدوين أخبار أسفاره والتعريف بهذا الفن ورفع الغبار عنه، كما تذكر العديد من العناصر المستخلصة كما يلي:

* كما اتضح لنا من خلال الفصل الأول أن هناك أدباء ومفكرين وعلماء اهتموا بتقديم مفاهيم ودلالات حول أدب الرحلة، بحيث أضى فنا وابداعاً أضى للأدب رونقا ولمعة خاصة.

- أما الخاصية التي لمحناها من خلال دراستنا أن هنالك أنواع وأغراض دافعة ز محفزة لاكتشاف ما هو مجهول وغير مألوف.

- أيضاً قدم لنا هذا الأدب ما يسمى بالمدينة من مفهوم ودلالات لأنها كان لها دور فعال بحيث كانت محط كل رجال كما تميزت بخاصيتها عن غيرها.

- بين لنا أن للمدينة العربية الاسلامية ملامح خاصة، وأبعاد من الناحية الاجتماعية والسياسية وأيضاً ثقافية وأنماط رمزية توسع فيها الأدباء لإشباع رغبتهم واقناع المتلقي.

- كان للرحلة دور فعال للتعريف بالمدينة من كل نواحيها وثقافتها.

- لقد اختلفت الرحالة في تفعيل المدينة منهم من كان عربياً ومنهم من كان غربياً.

- كما تبين لنا من خلال الفصل الثاني أنه كان يخص الحجاز والبقاع لا مقدسة التي زارها الرحالة بهدف تأدية فرائض الحج.

- كان للحجاز دور فعال لتثبيت دين الاسلام والتوسيع فيه وتقديمه للعالم.

الخاتمة

- لاحظنا أيضا أن للرحالة فصولا في مدن الحجاز من مدينة منورة ومكة المكرمة وزمزم ومقام ابراهيم، الطائف والجدة.
- معظم حلقات وصفحات هذا العمل أو البحث خصص للحديث عن الحجاز وأهم جوانبه وقضايا التاريخية والاجتماعية، الدينية، الثقافية.
- أما الخاصية التي توضحت أن العديد من الشعراء والأدباء كان لهم اهتمام بالأماكن المقدسة بحيث مدحوها في أسطر قصائدهم ومضامين دواوينهم، وهذا لا يقتصر بحيث قدموا ما هو أسمى من ذلك وهو مدح النبي وخير خلق الله في العديد من أشعارهم مبينا فضائل على الخلق والاسلام وتبليغ الرسالة.
- وفتحوا لنا الرحالة عن أسباب ودوافع التي حفزتهم على تجوال العالم لاكتشاف وارتداد المجهول ز ما هو غير مألوف.
- اتقان خاصية الوصف و الخيال و جمال الأسلوب لأقناع المتلقي و اشباع رغبتهم.

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. إبراهيم عبد القادر المازني، رحلة الى الحجاز، دون طبعة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة
3. ابن جبير، رحلة ابن جبير دار صادرة، بيروت
4. ابي القاسم بنحول النصيبين، صورہ الأرض. دون طبعة، الدار مكتبه الحياة، بيروت، 1996م
5. استاذ بوقره الطيب، كتاب فن الرحلة، ط1 الدار الغداد، عمان، 2017
6. أمام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور اغريق المصري، لسان العرب، الجزء 13، طبعه 1- 2- 3، دار الصادرة بيروت، لبنان
7. أمينه بنت عطا الله بن عبد ربه الرحيلي، خصائص المناخ في منطقه مكة المكرمة الإدارية، ماجستير، جامعہ أم القرى، 1426- 2005م، المملكة العربية السعودية
8. بوراوي عبد الحفيظ حمادي عبد الله، مدينة قسنطينة في ادب الرحلات ماجستير، جامعہ منثوري، 2007، 2008، قسنطينة
9. بوقريط الطيب، فن الرحله، ط1، دار الغيداء، عمان، 2017، صفحه 184
10. جمال نوال، جماليه ادب الرحلة عند ابن بطوطه، ليسانس، المركز الجامعي العقيد اكلي ا محمد أولحاج، 2010- 2011، البويره
11. جميلة روبااش، أدب الرحلة في المغرب العربي، دكتوراه، جامعہ محمد خيضر، بسكرة، ص 05

12. جون لويس بوركهارت ، رحلات بوكهارت في بلاد النوبة و السودان ، مجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2007.
13. حافظ محمد بادشاه ، الحجاز في أدب الرحلة العربي ، أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية و آدابها ، كلية الدراسات و البحوث المتقدمة المتكاملة ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة ةاسلام ، باكستان ، اسلام ، أباد ، 2007 -2011 عام 2013
14. حافظ وهبه، جزيره العرب في القرن العشرين، طبعه ثانيه، مطبعه لجنه التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1365 -1946م
15. حمدان ، المدينة العربية ، القاهرة ، 1963
16. حمزه قاسم، المدينة المنورة، مجلة مركز البحوث والدراسات. 29 . 2009، العربية السعودية ص 152/153
17. خالد التوجاني، ادب الرحلة جدلية الانا والآخر في عالم متغير، ط 1، دار الكنوز، عمان 2020 -1441
18. خالد عبد الرؤوف، الفتح المبين في مدح سيد المرسلين (قصيدة همزية في مدح خير البرية)
19. زهري وليد، أدب الرحالة الجزائريين الى مكة والمدينة دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، يونيو 2012- جامعه المدية - الجزائر
20. شارل ديدبيه، رحله الى الحجاز، دون طبعه، دار الفيصل الثقافية، 2001م، صفحه 170
21. صالح احمد العلي، الحجاز في صدر الاسلام، طبعة 01، مؤسسه الرسالة، بيروت، 141هـ، 199م،
22. صلاح عبد الصبور، ديوانه الأول

23. عائض القرني، أجمل ما قيل عن الرسول صلى الله عليه وسلم
24. عبد الله باشراجيل، البرق الحجازي، دار العلم للملايين، بيروت،
2008
25. عبد الله بن حمد الحقييل ، صور من أدب الرحلات الى الحرمين
الشريفين المملكة العربية السعودية ط 1 ، مكتبة التوبة المملكة العربية
السعودية 2007
26. عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مناسك الحج والعمرة وزياره
المسجد النبوي
27. علي عبد الوهاب مطاوع، المدينة المنورة في ادأب الرحلات الرحلة
الحجازية "الأولي جلبي"، جامعہ الازهر
28. علي محمد دندل و ياسين سعد الدين، تاريخ المدينة المنورة، دار المتب
العلمية
29. عيسى بخيتي، ادب الرحلة الجزائري الحديث، دون طبعه، دار مومه
الجزائر، 2014
30. فؤاد قنديل - أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية ،
للكتاب ، ط2 - القاهرة ، 2002
31. قاموس مجاني طلاب، ج 2 ، طبعه الخامسة، دار المجاني شرميل،
بيروت، 2001
32. كي ليسرنج ، بلدان الخلافة الشرقية، مطبعه الرابطة، بغداد، 1373
هـ ، 1954 م
33. كيفايت الله حمداني، الحجاز في ادب الرحله، دكتوراه، الجامعه
الوطنية للغات الحديثه اسلام اباد، 2009، 2013، باكستان،

34. محمد الرياض الوتار ، توظيف التراث في الدولة العربية ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2002
35. محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، طبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة، 1119،
36. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، دون طبعه، علم المعرفة، الكويت اغسطس 1988
37. مختار ابو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، الكويت، ابريل 1995 ص 253
38. مختار علي ابو غني، المدينة في الشعر العربي المعاصر، علم المعرفة، الكويت، 1955 ص 102.
39. المرجع نفسه، ص 13
40. مصطفى سليمان، أثر الجغرافيا التاريخية على التكوين الثقافي في الحجاز قبل الاسلام، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد 18، مارس، 2011، السعودية، ص 739
41. مصطفى مدوكي، مفاهيم عامه حول المدينة، لشانس جامع محمد خيضر 2013-2014
42. ناصر بركه، جماليه التوظيف المكان في ادب الرحله في مدينة الضباب ومدن اخرى، جامعہ المسيله،
43. نزار القباني، ديوانه الأول "قالت لي سمراء" 1944 قصيده البغي
44. نوال عبد الرحمن الشوابكه، اداب الرحله الاندلسيه والمغربيه، ط وزاره الثقافه ط 1 ، عمان، 2008

45. ياسر قاسمي، الجوانب الفنية والتوجيهات النقدية في المرحلة العبدريه، ماستر، جامعة محمد الصديق بن يحيى تاسوست، 2021-2022 ، جيجل،
46. يوسف بن احمد حواله، ابن حوقل ورحلته الجغرافيه للجناح الغربي هنا الدوله الاسلاميه دون طبعا، رسائل جغرافيه، الكويت، مارس 1996م
47. <https://arWikipedia.org>
48. <https://mawdoo3.com>
49. arWikipedia.org
50. <https://www.bbc.com>
51. <https://sabq/org>
52. <https://www.bbc.com>
53. <https://aswatonline.com>
54. <https://www.qsjp-cerist.dz>
55. [https : // religion. asianin dexeing . Com](https://religion.asianin dexeing . Com)
56. [https : // www.annajah.net](https://www.annajah.net)
57. <https://mecca10.weebly>
58. ابن فارس عجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، جزء 2 ط1 ، دار الجيل بيروت سنة 1411هـ

59. ابن منظور ، لسان العرب ، مج 11 ، دار بيروت للطباعة و النشر ،
بيروت د ، ت ، ص 279
60. الزبيدي ، تاج العروس ، ج 7 ، دار الصادر بيروت ، د ، ت ، ص 341
61. إبراهيم مصطفى و آخرون ، معجم الوسيط ، تحقيق : اللغة العربية ،
ج2، دار الدعوة ، د ، ت ، ص 334-335
62. شوقي ضيف ، الرحلات ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، د ، ت ،
ص08
63. أيد الريكان ابن احمد البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في
العقل أو مردولة . ط/ مجلس الدائرة و المعارف العثمانية حيدر آباد 1958 ،
ص 1.

الفهرس

.....	شكر و عرفان
.....	إهداء
.....	قائمة المختصرات
أ	مقدمة
11	مدخل: أهمية آداب الرحلة وعلاقته بالمدينة
24	الفصل الأول: أدب الرحلة وموضوعة المدينة
24	المبحث الأول: مفهوم أدب الرحلة
24	لغة
25	اصطلاحا
26	أنواع الرحلات
31	أهم الرحلات الجزائرية
36	أغراض الرحلات
37	المبحث الثاني: مفاهيم ودلالات المدينة

37	لغة.....
39	اصطلاحا
40	ملأمح المدينة العربية الاسلامية:.....
42	أبعاد المدينة الاجتماعية، السياسية، الثقافية
48	الأنماط الرمزية للمدينة
55	المبحث الثالث: المدينة في عيون الرحالة العرب والغرب
62	المدينة في عيون الرحالة الغرب
69	دور الرحالة في تعريف بالمدينة
73	الفصل الثاني: المدينة في الرحلة الحجازية
73	المبحث الأول: الحجاز وأهميته في تثبيت الاسلام
73	أهمية الحجاز
75	مدن الحجاز
75	مكة المكرمة
77	الكعبة المشرفة.....
79	المدينة المنورة
83	مقام ابراهيم
85	مدينة جدة
87	زمزم

89	المسجد النبوي
91	مدينة الطائف
94	المبحث الثاني: أهم الجوانب والقضايا في الرحلة الحجازية
94	الجوانب الدينية
96	الجوانب التاريخية
98	الجوانب الاجتماعية
105	الجوانب الثقافية
109	المبحث الثالث: الصورة الأدبية في الرحلة الحجازية
110	الأسلوب
114	اللغة
116	الخيال
117	روحانية الشعر وعرفانيته
118	شعر المدائح مكة المكرمة
123	مدائح الرسول الأعظم

الملخص:

موضوع هذه الدراسة هو المدينة في أدب الرحلة والرحلات في البقاع المقدسة نموذجاً، تهدف إلى أهمية الرحلة أدب الرحلة بصفة عامة للتعريف بين مختلف الشعوب والتواصل بين الحضارات وخاصة رحلات الحجاز، حيث جمعت بين التحصيل العلمي ومقاصد الحج، ووصفوا الأماكن التي زاروها بدقة وتفاصيل مهمة عن المدن والحجاج أثناء ذهابهم للديار المقدسة ولقاءات مع العلماء والشيوخ.

بالإضافة إلى الإجابة على جملة من الأسئلة التي اعتمدها على فصلين أساسيين يسبقها مقدمة.

جاء في الفصل الأول مقاييس أدب الرحلة والتعريف بالمدينة وكل ما يخصها:

أما الفصل الثاني، كان البحث والحديث عن مدن الحجاز وأهميته في تثبيت الإسلام وأهم الجوانب والقضايا التي تناولها من خلال الرحلات الحجازية، مع توضيح الصورة الأدبية من أسلوب ولغة وخيال، أيضاً هنا لاحظنا أن هنالك من أعطى شعراً يمدح فيه المدينة المنورة من خلال أسطر قصائدهم وعن مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الأخير الخاتمة تضمنت في محتواها وبين طياتها أهم النتائج المستخلصة.

Abstract:

The subject of this study is the city in the literature of the trip and trips in the holy places as a model, aiming at the importance of the trip in general to introduce between different peoples and communication between civilizations, especially the trips of the Hijaz, where it combined educational attainment and the purposes of Hajj, and described the places they visited accurately and in important details about cities and pilgrims while going to the Holy Land and meetings with scholars and sheikhs.

In addition to answering a number of questions that we have relied on two basic chapters preceded by an introduction.

In the first chapter, the standards of travel literature and the definition of the city and everything related to it are stated:

The second chapter, was the research and talk about the cities of the Hijaz and its importance in proving Islam and the most important aspects and issues addressed through the Hijazi trips, with the clarification of the literary image of style, language and imagination, also here we noticed that there is m we give poetry in which he praises Medina through the lines of their poems and the praises of the Prophet, may God bless him and grant him peace, and in the end the conclusion included in its content and between its folds the most important Conclusions drawn.